الناس يفهمون الدين على أنه مجموعة الأوامر والنواهي ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها من شئون الدنيا .. أما الدين فشيء آخر أعمق وأشمل وأبعد .

الدين في حقيقته هو الحب القديم الذي جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذي يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذي جئنا منه والعطش الروحي إلى النبع الذي صدرنا عنه والذي يملأ كل جارحة من جوارحنا شوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشي الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب في هذا العالم ، فنشعر أننا غرباء عنه وإننا لسنا منه وأنما مجرد زوار وعابري طريق ، ولحظتها نهفو إلى ذلك الوطن الأصل الذي جئنا منه ونرفع رؤوسنا في شوق وتلقائية إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت ؟.

ولحظة نخطيء ونتورط في الظلم وننحدر الى دركات الخسران فننكس الرؤوس في ندم وندرك أننا مدانون ، مسئولون .. فذلك هو الدين .. ذلك الرباط الخفي من الحنين لماض مجهول .. وذلك الاحساس بالمسئولية وبأننا مدينون أمام ذات عليا .. وذلك الاحساس العميق في لحظات الوحدة والهجر بأننا لسنا وحدنا وإنما نحن في معية غيبية وفي أنس خفي وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا وذاتا عليا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينا وعظيما سوف يتداركنا .. فذلك هو الدين في أصله وحقيقته وماتبقى بعد ذلك من أوامر ونواه وحرام وحلال وأحكام وعبادات هي تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فان كل العبادات والطاعات لن تصنع دينا ولن تصنع متدينا مسلماكان أو مسيحيا أو يهوديا ، وماكان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين ..على دين .. أى دين .. ولاكان سفاحوالصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصارى ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعا ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحى وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الأيات ..ما بلغوا من الدين شيئا .

وهل بلغ النبى يحيى(يوحنا المعمدان) عليه الصلاةوالسلام مابلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذى كان يفيض منه ، والذى قال فيه ربه : « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » (١٣ ـ مريم) فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى ، ونبينا عليه الصلاة والسلام الذى كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذاجبل يحبنا ونحبه .. حتى الجماد كان موضع حب النبى وتوقيره . وهذا ابن عربى يقول : لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق ، وهذا ربنا يقول عن المؤمنين : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣ ـ الحجرات) فالقلوب هى دائما موضوع الامتحان وحب الله وحب ما خلق وماصنع من أرضين وسموات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويبتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الاخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات الى روحهاوماكانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها ؟ . بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر.. « أدع لنا ربك يبين لنا ماهى » .. أو لعلك تهزأ بنا .. هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقريع واللوم .

وللأسف الشديد التدين اليوم خرج من روح التدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعاة وإغراقهم فى القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثانوية مما ألقى بأكثر المسلمين الى الاختلاف والجدل ، ومما خلق الذرائع لمحترف الارهاب ولهواة التعصب ومما أوجد هذا التدين السطحى المتهوس الأبله ، وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة الى روح الاسلام والى نبعه الشامل .. الى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبر معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .

والاسلام ليس ألغازا وليس لوغاريتمات ولا يحتاج منا الى كل تلك الفتاوى .

والنبى عليه الصلاة والسلام أجاب من سأله عن الاسلام فقال فى كلمات قليلة بليغة :

« قل لا اله إلا الله ثم استقم »

هكذا ببساطة .. كل المطلوب هو التوحيد والاستقامة على مكارم الأخلاق .

إنها الفطرة والبداهة التى نولد بها لا أكثر ، أن تحب أخاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صالح أم على غل وكراهية وحسد وتربص ؟.. وستعلم الى أى مدى أنت على دين الاسلام .

ماذا تخفى فى طيات ثيابك .. هل تخفى خنجرا أو مسدسا .. أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك؟

هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟!.

هل تنطق بالطيب من القول وبالنافع من الكلام أم تدعو الى الخراب والدمار والفتن ؟.

إن الدين لايحمل سيفا إلا للدفاع عن مظلوم ولايعرف العنف إلا اصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانة التى يقف فيها ذلك الداعية الذى يدعوك الى الاسلام.. وتعلم أين يقف.. مع الدين أم مع الاجرام .

إن الفطرة والبداهة دليلك.. ولست فى حاجة الى فقه أو فلسفة أو فتوى .

قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلب القضية وروحها .. والجوهر الصافى لجميع الأديان وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامر والنواهى فهى لتنظيم شئون الدنيا لا غير.. وهى تابعة للإطار العام.. إشاعة السلام والعدل والحب بين الناس.. وسوف يتوقف عملها فى الآخرة .. حينما لايعود لأحد حكم أو سلطان .. « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » .

إنتهت وظيفة كل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن اصبح أمر ملك الملوك مباشرة والتصريف تصريفه والعدل عدله والبطش بطشه.. ولم يعد لأحد الحرية فى أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع أذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الاسلامى العظيم.. العز بن عبد السلام :

فى زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا الى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها .

ومن هنا أفتى بعدم تطبيق حد الخمر على عسكر التتار ، لأن سكرهم وغيبوبتهم سوف تكف شرهم عن الناس وفى ذلك فائدة وخير .. بينما إفاقتهم سوف تؤدى بهم الى معاودة الأذى والضرر وفى ذلك مزيد من المنكر .

لقد فهم ذلك الفقيه العظيم أن حكمة الشرائع هى إقامة المصالح فى الدنيا وأنها مرتبطة بالمنافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبى عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق فى سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب فى عام المجاعة .

ونفس هذا الكلام يقال للغوغائيين من الدعاة والسطحيين الذين

يطالبون بقطع الأيدى والرجم والجلد علاجا للفساد الموجود .. وهم لا يعلمون أن الفقه الاسلامى نفسه لا يوافقهم على هذا الفهم السطحى والغوغائى .. فالعصر باعترافهم عصر شيوع الفساد وشيوع البلوى وبالتالى يستوجب فقها آخر ملائما للظرف القائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذى يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهية التقليدية وسوف يعفى من القطع بينما النشال الذى يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفى ذلك ظلم فاحش وتشجيع للكل بأن يسرقوا وينهبوا بالوسائل الملتوية من عمولات ورشوة وإختلاس وتزييف وخلافه.. وفى ذلك حض على عموم المنكر.

وعلى باب أى محكمة يمكنك أن تشترى أربعة شهود زور لتقطع يد من تريد ، وترجم من تشاء ، ثم من يقطع يد من فى عالم كله من اللصوص والمرتشين..؟!!!

ونفس الشيء يقال فى معاقبة الزانى بالرجم فى الوقت الذى تحض فيه الإذاعات والبث التلفزيونى الخارجى الهابط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلنى وتدفع بالشباب دفعا الى الفسق.. فالشباب مجنى عليه وليس جانيا واطلاق الحدود فى مثل هذه الحال من شيوع البلوى ظلم.. فضلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهية للرجم وهى ،، أربعة شهود يحلفون بأنهم شهدوا عمليات الإدخال.. فالعقوبة هنا غير واردة.. وهؤلاء الدعاة الغوغائيون يقولون افكا من القول وزورا ويباشرون فهما متحجرا ضيق الافق ، لايقول به أى فقيه مسلم مستنير .

وينسى هؤلاء عقلانية الإسلام ومرونته وتقديره للظروف.. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة عن سياقها ويغفلون روح القرآن فى مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الانجيل فى صريح آياته :

إن اعثرتك يدك فاقطعها وإن اعثرتك عينك فاقلعها .

وهو أمر بقطع اليد التى تسرق وفقء العين التى تزنى .. ومع ذلك لم

يقل أحد من المسيحية بهذا .. وإنما وضعوا الآية داخل مجموعة آيات الانجيل وسورة ، وقالوا بالروح العامة التى تشيع فى كتابهم .. وهى روح المحبة والرحمة والعفو والمغفرة .. واكتفوا بالعقوبات التعزيرية مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكون النظر الى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظروفها وفى اطار الرحمة التى أوجبها الله .. فهو سبحانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنا آلات تنفذ فى آلية بلا تدبر وبلا تفكير .

وأراد بروح النصوص أن تكون هى الحاكمة على حروفها .. وبدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنا أوله رحمة وآخره حمد وأوسطه محبة .. والحب هو روح الوجود وهو سر ديمومته .. وهو النفحة الربانية التى بدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى وبدون الحب فى قلبك لا يعود لوجودك معنى ولا لفضائلك معنى ولا لدينك معنى أى معنى مهما أطلت اللحى وبسملت وحوقلت وصمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيان أن المقصود بالحب هنا هو حب الحق وحب الخير وحب العدل وحب الجمال وحب المثل العليا وهى جميعها أسماء الله الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانه وحده الذى له المثل الاعلى فى السموات والارض .. وهو الحق وهو العدل الحكم وهو بديع السماوات والأرض . وكل جمال فى الكون يرتد الى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد الى كماله وهذا هو الحب القديم الذى فطرنا عليه منذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء الى الدنيا هاتفا بنا :

« ألست بربكم » .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب الى وجهه الكريم :

« بلى شهدنا » ..

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشوق النبيل هو الطاقة الدافعة وراء كل فن عظيم وكل إبداع رفيع ، وكل فكر ملهم ، وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولة .

وهذه النورانية فينا هي التي اقتضت سجود الملائكة وتسخير الكون لنا .. وهي التي جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

وبدون هذا الحب

في ساعات الخطر يتحد المختلفون ويلتقي أبناء العم وأبناء الخال وأبناء سابع جد وتذوب الأحقاد الصغيرة ويؤلف الخطر الداهم وشيجة توحد كل القلوب .

وهذا شأننا اليوم وقد رأينا ما يصنعه الحلفاء الأوروبيون والأمريكيون بمسلمي البوسنة المظلومين المحاصرين بالرصاص والقنابل والجوع والموت فلا تكون نجدتهم إلا بتكريس هذا الظلم وإضفاء الشرعية على هذا الحصار وإقرار النساهب على ما نهب والتسليم للمغتصب بما اغتصب ، ثم تحويل ما تبقى من أرض إلى معتقلات أبدية تعيش فيها البقايا المنهوبة والهياكل المغصوبة تتسول المعونات من جنود الأمم المتحدة وتأكل من فتات الأيدي مثل حيوانات الأقفاص .

وتلك هي القرارات الوضيعة التي وصل إليها السادة الأوروبيون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

أخيرا أفصح هؤلاء الناس عن عواطفهم الحقيقية ، اتفقوا في البداية على تكتيف أيدي الضحايا وحظروا عليهم أي سلاح يدافعون به عن أنفسهم .. وأخيرا قرروا سجنهم في جيوب ومعتقلات إلى الأبد يلقون إليهم بفتات الطعام وهذا عدلهم .. وهذا قانونهم .. وبئس ما صنعوا .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟

على ماء الوضوء يصل إلى الكوع أو يشمله .. وعلى الأيدي ترسل على الجانبين أثناء الصلاة أو تضم على الصدر .. وعلى نقاب أم حجاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصلاة أم أذانان .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونولي الفقيه أم السياسي .. ونضع أموالنا في البنك أو في دفاتر الادخار ؟..

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدى التى تريد أن تلقى بكم فى جب وتهيل عليكم التراب .. ألا تسمعون كلام الله يدوى فى آذانكم .

• إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ ـ الأنبياء) .

ألا تسمعون وعيده وتهديده :

• وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٣٨ محمد) .

وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافنا .

وفيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب

وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم فى كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا نقابا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ما عدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال ؟وهل التصوير حرام أم حلال ؟. وهل الغناء حرام أم حلال ؟.

وقد غنى البنات والأولاد للنبى عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبى لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والرفيع من الفنون الذى تنشرح له الصدور ، وهناك الوضيع والهابط الذى تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .

وتستجد فى كل زمان أحوال وظروف .

وتطرأ ملابسات ومتغيرات ..

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله .

إنما هى تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء فى الناس فيشككون فى كل شىء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبثون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة لأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيما لأخيه .

وهى تجارة تروج مع التخلف وتزدهر فى الأزمنة الرديئة .

ونحن بلاشك فى أردأ الأزمان.

وإذ يوشك الظلام أن يشتد ويملأ تجار السوء الأرصفة ببضاعتهم الفاسدة ويتنادى أبالسة الشقاق ليشتتوا الناس شراذم وجماعات .. بينما تزحف علينا العداوات من كل جانب ونحن فى غفلة .. لا أملك إلا أن أصيح بالكل أن تنبهوا .. واستقيموا يرحمكم الله .. وسدوا الفرج .. وضموا الصفوف .. فليس أولى بالوحدة منا نحن عباد الواحد .. فليس عندنا كثرة من الآلهة نختلف عليها ، وإنما هو واحد ، ونبينا واحد ، وقبلتنا واحدة وصلاتنا واحدة .. ولا خلاف بين سنة وشيعة فكلنا بحب أهل البيت مشغوفون ، وبسيرتهم مغرمون ، وسيدنا على هو سيد شباب أهل الجنة وهو فى أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضاعتنا .. وإسلامنا ليس ضد النصارى بل هو معهم ما تعاونوا وما تحابوا .. والذين قتلوا مسلمى البوسنة ليسوا بنصارى بل هم وحوش لا ملة لهم ولا دين .. ولو كانوا نصارى لمنعهم إنجيلهم الذى يقول أحبوا أعداءكم .. واتباع عيسى بحق واتباع محمد بحق هم على طريق واحد وهو طريق موسى وطريق جميع الأنبياء ، فكلمة الله لجميع أنبيائه واحدة ، ولكن صهاينة اليهود خانوا توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمود والبروتوكولات دستورهم .. وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم: اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخوا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. فإن ما بأنفسنا الذى يريد ربنا أن نغيره هو هذه الأنانية والعصبية والطائفية وعبادة الرأى وعبادة النفس وعبادة الهوى وحب الدنيا والانغلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء لا ترى إلا لشبر واحد أمامها.

لم يطلب منا ربنا حيازة تكنولوجيا الذرة والالكترونيات والليزر لينصرنا .. وإنما طلب هذا الطلب الواحد البسيط .. أن نغير ما بأنفسنا .. وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيا دون حرب ؟ وكيف ركعت على أقدامها دون أن تطلق عليها رصاصة .. وكيف انهزمت من الداخل .. من داخل

نفوسهـا فانهارت وعلى ظهرهـا من القنابل الهيدروجينيـة ما يكفى لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذلك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطغى .

وأتوجـه بهذا النداء إلى ٤٧ دولـة إسلاميـة فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضـية وأغلبهـا يتسول طعامه ويقترض مصروف يومه ، وأقول لهم : منظـركم عجيـب وأنتم كالإبل الشـاردة لاتجتمع على كلمـة .. ألا تسمعون حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله ، وسدوا الفرج وضموا الصفوف .

إنما يريدها سنة حياة لا تعليمات لمدى خمس دقائق .

فصـلاة المسلم هى مـؤشر لحيـاتـه ، ولا صـلاة لكم وأنتم ممسكـون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعـوا وتحابوا واتحدوا فقـد تداعت عليكم الأمم تـداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثاء السيل الذى انفرط وتفرق بددا .

فهلا اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان .. أليس فيكم رجل رشيد ؟

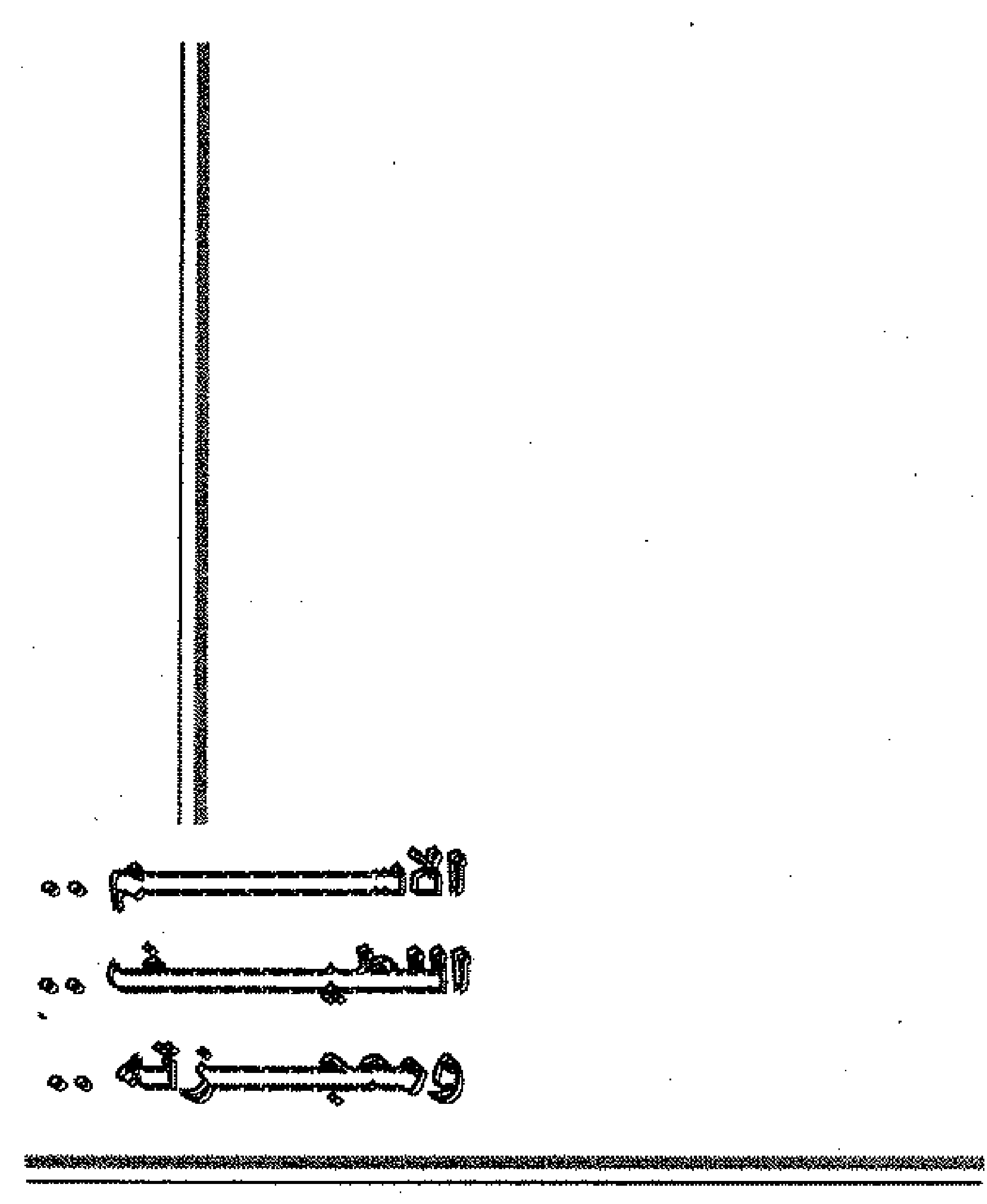
عجبت لكم .. أراكم فى الصـلاة تتوجهـون بالملايين إلى كعبـة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجمع وتفرقت بكم الطرق .. فمنكم من كعبتـه واشنطن ، ومنكـم من كعبتـه بباريس ، ومنكم مـن كعبتـه جنيف ، ومنكم من كعبته إسرائيل ، ومنكم مـن كعبته صندوق النقـد الدولى ،ومنكم من كعبته الـ CIA .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هـلا أرسلتم النظـر لأبعـد من أقـدامكم ؟ فـالموت على البـاب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عمركم لحظـة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جاه ولا ملايين الدولارات فى بنوك نيويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقد قـررت إسرائيل ياسـادة أن تقيم دولتها الكبرى على أكتـافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم . وقررت أن يكون ذلك فى السنوات الأربع الباقية من حكم رجلها كلينتون .

فهل أنتم منتهون ؟


الإسلام ..
الطب ..
ومعجزاته ..

ماهذا الذى يحدث فى روسيا ؟

هل كان هذا النظام الحديدى آيلا للسقوط بهذه الدرجة ؟ ..

كيف صعدوا إذن إلى الفضاء .. وصنعوا اسطورة الأقمار الصناعية .. والمحطة « مير » والصواريخ عابرات القارات .. والميج .. والسام .. والرؤوس النووية .. والمفاعلات الذرية .. والتفجيرات تحت الماء .. وسلاح الغواصات المرعب .. وفائض الأموال الذى كانت تطعم منه روسيا دولا وشعوبا مثل كوبا ونيكاراجوا وموزمبيق وانجولا ومختلف الذيول الأخرى .. وجيوش الجواسيس فى أقطار الأرض الأربعة وشبكة المخابرات الرهيبة التى كانت تتصيد العملاء من قلب لندن ونيويورك وباريس .. و « تدوخ » أكبر العقول ؟ !.

هذا النظام الذى صمد لضربات هتلر ومدافعه وطائراته وقاذفاته وخاض الجحيم وانقض على الجيش الألمانى ليصرعه فى قلب برلين وعاد يغنى « الإنترناشيونالى » وليبنى الخراب والدمار ويرفع روسيا من الانقاض الى الفضاء والكواكب والنجوم وعنان السماء .

كيف ينهار فجأة .. وتتكشف كل هذه العملقة عن شعب لايجد الخبز وأسراب تائهة من البشر تفتش عن اللقمة فى أكوام القمامة ..

هكذا فجأة بلا حرب وبلا ضرب !!

ماذا كانت تلك الهمسة التى كانت تحمل سر الله ولطفه الخفى .. والتى همست فى هذا البنيان الأسطورى فسقط فجأة من طوله بلا قتال ..

إن جورباتشوف حينما حمل إلى شعبه بشارة « البرسترويكا » كان يظن أنه يقدم لهم حلما وأملا وأنه يصلح الشيوعية ويقويها ويطورها .

هكذا كان يقول الرفاق .. ولكن ماحدث كان النقيض تماما .. وكان فى ظنى مفاجأة لجوربا تشوف نفسه .. فقد انهدم المعبد كله فجأة وسقطت الأنقاض على رأسه .. ثم دفن الركام كل شىء .

لقد استدرج الله هذا الرجل ليهمس فى أذن الناس بالحرية ويرفع عنهم غائلة الخوف ويدعوهم إلى مصارحة ومفاتحة ومكالمة حبية ..

وفجأة ذابت المادة اللاصقة التى كانت تمسك بأطراف البنيان كله .. فلم يكن يمسك بأطراف هذه الأمبراطورية العريضة سوى الرعب والخوف .. ولم يكن يمسك الجدران سوى القمع والقهر .. وكان الكذب هو « المانشيت » الكبير الملصق على قباب الكرملين ..

كانت الشيوعية بيتا من الشعارات وقلعة من الملصقات وبنيانا هائلا من ورق الكوتشينة .. وكان الكل عبيد الخوف وأسرى الكرباج .. وكانت العظمة ديكورا من الخيش الملون ..

وانكشف المسرح فجأة على حقيقته .. فالشيوعية والحرية لاتقومان معا .. والحرية لا تصلح الشيوعية بل تقضى عليها ..

وجورباتشوف قد أدرك الآن هذا وأدرك أنه قد هدم روسيا السوفيتية من حيث ظن أنه يطورها ويبنيها .. وانه كان المعول .. وأداة الخراب من حيث لايدرى ..

وكان فى قدر الله وقضائه أن يهدم المعبد بأيدى سدنته ..

وأحسب أن هذا معنى اسمه .. اللطيف .. انه سبحانه الذى يحقق مراده فى خفاء وبلا جلبة وبأيدى أعدائه الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا ..

وقد سألوا جورباتشوف أخيرا : هل تؤمن بالله .. فقال : لا أؤمن ..

ولا أدرى ماذا سيصنع به الزمن الدوار أكثر مما صنع .. وماذا سيكشف له أكثر مما كشف ..

ولكن يقينى إنه إذا كانت فى هذا النظام المنهار قيمة أو معنى لما سقط هكذا ككومة تراب وتبخر وأصبح كل شىء .

وتصل إلىّ دائماأعداد صحيفة « مجاهدى » أفغانستان » وفيها يقولون دائما إنهم هم الذين هزموا روسيا ..

وأحسب الآن أن فى كلامهم معنى .. فهـم لم يهزموها بالسلاح .. ولكن بدعوة مظلوم كان يموت فى العـراء على جبال أفغانستان الجرداء وقد بقرت القنابل أحشاءه .. وكان يهمس فى حشرجته :

الغوث .. الغوث .. ياقوى على كل ظالم .. وقد أجاب الله باسمه اللطيف .. وكان ذلك المشهد التاريخى العجيب ..

أمـة تموت وهى تحمل على ظهـرها أسلحـة وقنابل ومتفجـرات تكفى لنسف الكرة الأرضية عدة مرات ..

فـذلك هـو الاسـم .. اللطيف .. وسره الخفى .. حينما يقبض بلطف على رقبة الظـالم ولا يتركه إلا عدما .. وصـدق رسول الله صلوات الله وسـلامه عليه .. حينما سجد يستعيذ ويستغفر :

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك .. وأعوذ بعفوك من عقابك .. اللهم إنى أعوذ بك منك » .

فذلك هـو الله .. الذى به يستعـاذ .. ومنه يستعاذ .. وهـو الأول والآخر وصانع التدبير ..

هذا تفسير الموحدين الذين يرون المشيئة الالهية فى كل شىء ..

ولكن العقلية الغربية لاتنظر بهذه الطريقة ولا ترى بفكرها إلا حسابات الـواقع وموازين القـوى وتظن كل دولـة كبرى إنها تمسك بخيط الحوادث وأنها توجه التاريـخ حيث تشاء وتشعر أمريكا بالأمان وهـى تسند ظهرها إلى « البنتاجون » وإلى ترسانة حرب النجوم وعيونها فى كل مكان وأقمارها فى الفضاء تتجسس على دبيب النمل ..

ولا توجد فى الحسـابات الغربية كلمة الله .. ولهذا لاتشعر أمـريكا بحرج فى مسـاندة عدوان أو الوقوف مع ظالم .

ولقد سـاندت اسرائيل وزرعتهـا فى الوطن العـربى وسلحتها بـالقنابل النـووية ، وراحـت تجند مـائة صـوت فى الأمم المتحدة لترفـع عنها تهمـة العنصرية .. تفعل هذا فى الوقت الذى تلقـى فيه اسرائيل بقنابلها على جنوب لبنـان وتـرفض كل عـروض السـلام فى واشنطن وتضرب عـرض الحـائط بقـرارات الأمم المتحدة وتخطـف الرهـائن .. فماذا حـدث لتنال فجأة هـذه البراءة ؟

لقد ولدت اسرائيل عنصرية وما زالت عنصرية .. ولاشيء تغير فى سلوك اسرائيل لتمحو الأمم المتحدة قرارها الأول ..

وكالعادة اختلف العرب .. اعترضت الأغلبية ومعها كل الحق .. ولم تشترك مصر وتونس والمغرب والبحرين وعمان والكويت فى التصويت .. « لتوفير مناخ مناسب للسلام » أى سلام ؟ أليس الحق أولى ؟

إن أمريكا دولة كبرى وهى على رأس الكوكب الأرضى حاليا .. « على العين والرأس »

ولكن لا شيء يبقى فى مكانه .. فنحن على كوكب دوار ..

وبالأمس كانت روسيا الى جوارها على القمة ، وغدا لاندرى ماذا يحدث .

ولكننا نعلم علم اليقين أن الدنيا لاتديرها أمريكا ولا يدير شئونها الكونجرس.. ولكن إرادة إلهية لاتغفل ولا تنام ..

وفيما رأينا من أحداث التاريخ عبرة تكفى ليعود الأعمى منا بصيرا ..

نسأل الله باسمه اللطيف اللطف ..

خطأ الإسلاميين

الاسلام دعوة تأتى للناس بما يحبون على يد قدوة يعرفونها بمكارم الاخلاق وليس انقلابا يأتى على ظهر دبابة يحمله الى الناس بكباشى أو عقيد .. وحينما تحول الأخوان المسلمون فى الماضى من دعوة تسعى الى الناس بالحسنى.. الى جماعة سرية تسعى إلى الحكم بالقنابل .. انتهى أمرهم ..

والاسلام فى مبدئه جاء للوثنيين فى قريش كدعوة ودخل المدينة المنورة للمشركين مدعوا تستقبله الأغانى ولم يدخلها قهرا بالسيوف والنبال ..

فما باله اليوم وهو يدخل ديارا هى ديار إسلام بالفعل .. يأتيها بالحديد والنار والخسف والعسف والاعدام والمحاكمات والمشانق كما حدث فى السودان .. وكما ترسم لنفسهاالجماعات الإسلامية المتطرفة فى أكثر البلاد ..

إن الاسلام ليس انقلابا عسكريا .. وليس اصلاحا للناس بالعنف وليس أكراها للناس على غير طبائعهم ..وإنما هو هداية للناس الى الفطرة.. الى فطرتهم التى فطرهم الله عليها..

وهو دعوة وليس انقلابا ومخاطبة بالحسنى وليس مخاطبة بالكرباج ..

إن الاسلام موجود فى ديارنا بالفعل .. والآذان يدوى من المآذن « لا اله إلا الله » كل يوم خمس مرات .. والناس تسعى الوفا الى المساجد .. ولاحاجة بنا الى انقلاب وإنما لإصلاح يسعى الى الناس من قنواته الشرعية انتخابا طوعيا واصواتا تخاطب الناس من منابر برلمانية وليس من أبراج الدبابات ومن فوق ظهورالمدافع..

ويريد الناس أن يروا فى الداعية قدوة ومنبرا علميا رفيعا.. وليس شقشقة لسان من شاب حدث لايعرف من دينه إلا آية أو بضع آية يسعى بها ويلوى معانيها على هواه : ليسوق الناس أمامه بالعصا كالدواب الى حيث يريد..

إن الاسلام حضارة.. وحوار رفيع المستوى.. وإنقاذ.. ورحمة..

والإنقاذ لايأتى للناس كرها ورغم أنوفهم.. ومن يرد أن ينقذ الناس لايضعهم فى السجون ولا يعلقهم فى أعواد المشانق ولا يقهرهم قهرا على غير مالا يريدون..

لاتعطوا للعالم رخصة لإدانة الاسلام بما ليس فى الاسلام. ولاتعطوهم عذرا ليسموا الجهاد إرهابا فيصرفوا الشباب عن أشرف غاياته..

لقد أصبحت كلمة «الأصولية» تعنى العداوة من فرط ما أسيء استعمالها ومن فرط ماحملها الى الناس أقوام لا أصالة فيهم ولا خلق لهم ولاخلاق.. وإنما هم طلاب سلطة وطلاب رياسة وطلاب حكم يتحكمون به فى الرقاب..

إن الاسلام محبة ورحمة ومكارم اخلاق أولا.. ومن لاتوجد فيه هذه الخصال فليبحث له عن راية أخرى يدعو الناس تحت لوائها.. وحق لهذا العصر أن نسميه عصر العنف وعصر الشعارات وعصر التزييف وعصر التدليس..

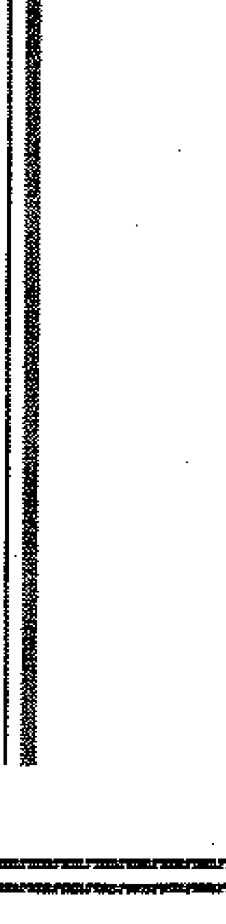
الذين رفعوا شعارات.. توظيف الاموال با لمرابحة الاسلامية.. ورفعوا لافتات.. لا ربا ولا ريبة.. كانوا هم أنفسهم أهل الريبة.. وكانوا حثالة لصوص..

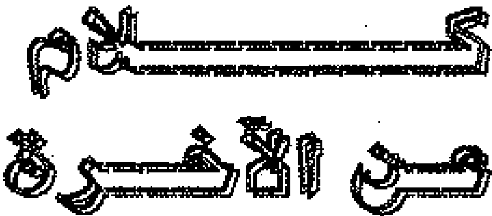
وصدام حسين الذى رفع راية الاسلام كان عدوا للإسلام.. انتهك الجوار وخان الأمانة وقتل الأبرياء واغتصب المحصنات ونهب الأموال.. وكان ماضيه الدموى وحكمه الدموى ونظامه البعثي العلمانى مناقضا لكل ماهو دين ولكل ماهو اسلام.. ومع ذلك صدقه البلهاء.. ومشى خلفه المخدوعون . واتخذه مرضى القلوب إماما ورائدا..

ياأخوانى.. راية الاسلام ليست ذريعة وليست فرصة تلتقط..

راية الاسلام أمانة لايحملها ولاينالها إلا كل رحيم تقى..

فكروا طويلا قبل أن تصفقوا.. وتدبروا أمركم قبل أن تهتفوا.. وأعملوا عقولكم قبل أن تسلموا رقابكم لكل طامع.. فأنتم بشر.. ومن أكرم من خلق الله.. ولستم سوائم..




كـــلام
عن الآخــرة

لو لم تكن هناك آخرة لوجب أن توجد .. فدنيانا هذه استولى عليها الغشاشون والمرتشون والكذابون والمنافقون والقتلة وعلا فيها الأدنياء وارتفع الأخساء وحكم السفاحون وفاز الدجالون وتقلد المداهنون النياشين والأوسمة ، أما الطيبون فلزموا الخنادق والكهوف ولاذوا بالجدران يدافعون عن لقمتهم الصعبة واعتزلوا شوارع النجاح القذرة وتجنبوا أوحال الشهرة ومزالق الجاه .

والقمم التى تتشدق الآن بالعدل وبحقوق الانسان هى نفسها التى داست على العدل وعلى حقوق الانسان ، وهى نفسها التى وقعت على أوراق إعدام الشعوب وعلى مذابح الضحايا وعلى محارق المغلوبين بالجملة .

قد يقول قائل : ولماذا يستوجب هذا الظلم افتراض آخرة ؟ فأقول بيقين: لأن العطش الى الماء يدل على وجود الماء وعطشنا الى العدالة أشد .. وهو الدليل القاطع من داخلنا على وجود العادل .

إن من زرع فينا العطش الى الخير والحق والعدل قد زرع المؤشر الذى يدل عليه وهو برهان قطعى لأنه برهان من قلب وجودنا وليس ثرثرة منطق ولا جدلا فلسفيا فارغا .

إن نور الحق من داخلنا .. يقول : هناك يوم لن يفلت فيه ظالم .

إن الذى أقام موازين هذا الكون المحكم الذى لا يستطيع أن يفلت فيه الكترون خارجا عن مداره دون أن يحصل على شحنة تساوى حركته .. وهو جسيم أصغر ألف مليون مرة من الهباءة .. يقول لنا ربنا بهذا المثال البليغ : إنه لن يفلت ظالم واحد من موازينه .. ولو قال ظاهر الدنيا غير ذلك .. فلابد من آخرة تصحح جميع الموازين .

إن قول الله فى كتابه .. « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » تعنى ان أغلبية هذا العالم هم من الكفرة وان كانت بطاقاتهم الشخصية تقول غير ذلك .. وان أغلبيتهم إلى النار .

ألم يقل عن الساعة إنها خافضة رافعة .. أى انها سترفع الأذلين والمبتلين من أهل الدنيا الى أعلى المنازل وستخفض با لمتكبرين من أهل الجاه الى الهاوية .. ولهذا سماها بيوم الفزع الأكبر .

ولكن الأهواء والشهوات التى تسيطر على الكل تعطل التفكير وتصنع مناخا عاما من الغفلة واقتناعا وقتيا بأن هذه الدنيا هى كل شيء .

ويظل الكل سادرا فى الغفلة حتى تأتى لحظة الموت ولا تعود هناك رجعة .

وما أقرب ذلك الموت منا جميعا .

وما أشبه الزمن بوهم .. الماضى فيه عدم والمستقبل خيال والحاضر مجرد خيط مفترض بين الوهمين .. وحركتنا عبر هذا الخيط هى أسرع مما نتصور فما تلبث سنوات العمر ان تصبح ماضيا معدوما وما تبقى لنا من أيام العمر مستقبلا موهوما .. ثم يفاجئنا الموت ولا يبقى شيء يقال .

هلا دعا كل منكم نفسه لوقفة تأمل قبل أن يرفع يده ليرتكب جريمة أو يقسو على انسان أو يختلس أو يسرق أو يأكل مال يتيم أو يظلم أرملة أو يشهد زورا أو يقتل بريئا .

هلا نظر كل منكم إلى أبعد من أنفه واستشرف إلى أبعد من مواقع قدميه وتخطى مصلحته وتجاوز لحظته ؟

وأتوجه بهذا للكبار قبل الصغار .

وأرجو أن يترجم عنى هذا الرجاء بكل اللغات إلى الآحاد الذين يحكمون العالم ويتربعون على مصائر الملايين ويتصرف كل منهم وكأنه الرافع الخافض والمعز المذل والمحيى المميت .. لعله يتوقف هو الآخر لحظة ويفكر هنيهة قبل أن تُسحب منه صلاحيات التصريف ويصبح أثرا بعد عين وهيكلا لشيء تحت التراب .

ولا يظن أحدكم أن حظه من القوة والجاه والشهرة والمال والعلم والفن

هو مقياس عظمته .. فالله سبحانه حينما امتدح نبيه قال له .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .. لم يقل له وإنك لعلى علم عظيم أو فن عظيم أو ثراء عظيم أو جاه عظيم أو شهرة عظيمة .. وإنما قرن العظمة بالخُلق على وجه التحديد وبالخلق وحده .

ونعلم الآن مبلغ الدقة فى هذا التوصيف فنحن نرى الآن علماء لا نشك فى درجاتهم العلمية ونعلم مع ذلك انهم لصوص ومرتشون وانتهازيون ومنافقون وعباد مناصب .

وأكبر فنانى عصرنا أجرا وأوسعهم شهرة أمثال مادونا ومايكل جاكسون هم أفسدهم سيرة وأحطهم أخلاقا .. وكذلك كان أكثر الفنانين فى كل العصور أمثلة بالغة للفسوق والانحلال .

والثراء دائما كان لصاحبه مفسدة وكانت الملايين لأهلها مضيعة .. وكان الجاه غرورا والقوة تسلطا والنفوذ غطرسة .

فلا يصلح أى شىء من هذا مؤشرا للعظمة .. ولا عاصما لصاحبه من عذاب الآخرة .

وانما المؤشر الوحيد للعظمة هو حسن الخلق وهو العاصم الوحيد يوم لاينفع مال ولا بنون .. ويوم يقف الانسان عاريا إلا من عمله .

وأهل الخلق هم أهل التقوى وهم أهل الخشية لله وهم أهل الدين .

وهنرى برجسون لم ير للأخلاق أصلا ومنبعا سوى الدين فى كتابه : « الدين منبع الأخلاق » .

والمتصوفون جعلوا من الأخلاق محور مجاهداتهم ورياضاتهم ورأوا فيها صراطهم الوحيد الموصل الى الله بالاضافة الى العبادة والتوحيد واتقان العمل .. واتخذوا للنفس المذنبة سلما ترتقى عليه يبدأ بالتخلية (أى التخلية من الذنوب وهجر المخالفات) ثم التحلية (بالذكر والتسبيح والتزام الطاعات واتقان العبادات وعمل الصالحات) .

ولهم فى ذلك أحوال ومقامات ومنازل ومراق تدور كلها حول التخلق بمكارم الأخلاق .

ويقولون إن التخلق هو السبيل إلى التحقق أى التحقق بالمعرفة الإلهية على وجه التحقيق .. وتجلى الكمالات الأسمائية على الذات العارفة فى ذروة قاب قوسين أو أدنى .. وذلك عندهم منتهى القرب وغاية المنى .

والأديان اتفقت جميعها على ضرورة الأخلاق .. وألواح موسى كانت معظمها وصايا خلقية .. والوصايا العشر فى الانجيل وصايا خلقية .. والقرآن هو المنهج الخلقى المفصل المحكم المهيمن عليها جميعها .

وبدون أخلاق لا اسلام ولو اكتملت الشعائر واتسقت المناظر والمظاهر.. فالتقوى هي جوهر الدين بلا خلاف.

وفى عصر الظلم والعدوان والبلطجة الذى نعيش فيه والحرب التى يقودها الغرب لإبادة المسلمين فى حملات الحقد والكراهية التى تجرى أمامنا لا أرى إلا كراهية تتأجج فى قلوب هؤلاء الناس ولا أرى إلا علوا واستكبارا وعنصرية وكفرا بواحا .

ولا أرى مسيحية على الاطلاق بل أرى صليبية يهودية لا تؤمن بشيء سوى السيادة لنفسها بأى ثمن .

وقد تغلغلت هذه الصليبية اليهودية الى جميع مقاعد صنع القرار وراحت تتآمر وتفسد وتؤلب الفئات والطوائف والأجناس والأديان بعضها على بعض .. وتستخدم الآلة العسكرية الأمريكية فى إثارة الحروب .

وسوف يحيلون الأرض إلى جهنم ولكنهم سوف يكونون وقودها فى النهاية ..

ولن ينتصروا أبدا ولن يصلوا إلى غايتهم .

ويقول ربنا عنهم :

« إنْ فى صدورهم الأكبر ماهم ببالغيه »

أى أنهم لم يبلغوا تلك السيادة التى يخططون لها ولن يحققوا ذلك الكبر الذى يملأ صدورهم .

ولكنهم بسبيلهم إلى تلك الغاية سوف يملؤون الأرض عذابا ويشعلونها فتنا .

ونرى الآن مشاهد مستفزة من تلك الفتن وقد اتخذ الصهاينة من النسر الأمريكى مركبا ومن الحلفاء الأوربيين أعوانا .. ولسوف يجلبون الخراب على أمريكا ويأتون على بنيانها من القواعد .

وسوف نرى ذلك بأعيننا فى السنوات القليلة القادمة وقبل أن ينتهى القرن .

ولكننا لن نرى ذلك من مقصورات المسرح بل سنكون نحن المسرح نفسه .. وسنكون التاريخ .. وسنكون القدر والمقدور .

وأكاد أسمع كلام الله وكأنما يوجهه إلى الفلسطينيين المجاهدين اليوم « فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

ولا شك أن مصيبة العرب كلهم هى ذلك الوهن الذى أصابهم والذى ذكره الله فى الآية وهو يقول جل من قائل :

« فلا تهنوا و تدعو إلى السلم وأنتم الأعلون » .

(٣٥ - محمد)

أى لا تستسلموا لذلك الوهن ولا تذعنوا للباطل وأنتم أهل الحق وأنتم الأعلون وهم الأسفلون وإن كانوا أكثر قوة وأكثر عدة ولكن الله معكم ولن يضيع ثواب من يجاهد منكم ولن يضيع عمله .

ومرة أخرى أقول لإخواننا الفلسطينيين : لا توقعوا على مذلة ولا تبصموا على غبن .. فهم لا يريدون لكم سلاما ولكنهم يريدون استسلاما .

وأنتم جميعا ظهوركم الآن إلى الحائط .

وأى تنازل آخر سوف يعنى خروجكم من دائرة الوجود بالكلية .. وانظروا ماذا تصنع الأمم المتحدة بإخوانكم فى البوسنة .

ان آخر ما قاله لورد أوين وسيط السلام إلى مسلمى البوسنة :

ليس أمامكم الا قبول الأمر الواقع .. وإذا لم توافقوا فإننا سوف نقطع عنكم المعونات الغذائية وسوف نسحب قوات الأمم المتحدة .

وهذا كل ما تقدمه الأمم المتحدة ورسل السلام الى الحفنة الباقية من المسلمين المحاصرين بين مطرقة الصرب ونار الكروات .

ولورد أويـن وسيط السلام اليهودى لايفكر فى أن يضغط على الصرب أو على الكروات .. بل كل ما يفعله من نجدة هو أن يضغط على رقاب المسلمين ويهددهم بالموت جـوعا هم وأطفالهم إذا لم يقبلوا التسليم بـالأمر الواقع . .

وهذا هو سـلامهم .. إنه الذل الأكثر مرارة من الموت .. فلماذا الوهن .. ولماذا هذا التخاذل ؟!

أحبا فى دنيا لاتساوى شيئا ..

أحبا فى لقيمات مغموسة فى الذل ؟

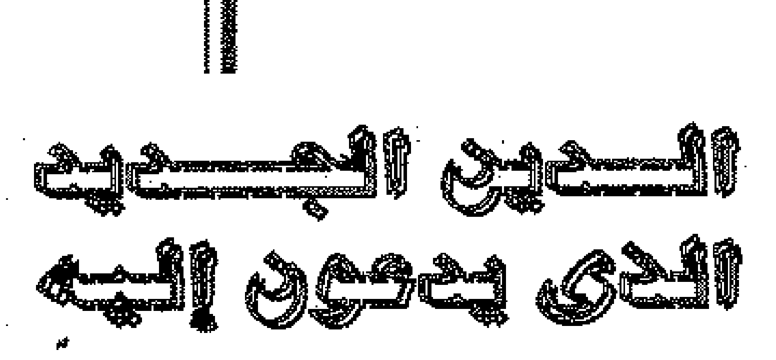
لقد سألـوا النبى عليه الصـلاة والسـلام عن الـوهن الذى جـاء فى الآية الكريمة .. وقالوا له : وما الـوهن يارسول الله .. فقال الصادق الأمين : هو « حب الدنيا وكراهة الموت » .

وهذا حال أمة المسلمين كلها اليوم .. فى كلمتين .. هـو حب الدنيا وكراهة الموت .

ولن يتبدل حـال تلك الأمة الا حينما يظهر فيهم أولو العـزم .. والعصبة أولـو القوة .. التى تبيع دنيـاهـا بـآخرتها .. ولا تـرى فى تلك الـدنيا شيئـا يساوى المذلة من أجلها .

وهانحن أولاء بـدأنا بالكلام عـن الآخرة وانتهينا إلى الكلام فى الـدنيا .. وهل يختلف الاثنان ؟

أليسا وجهين لحقيقة واحدة .. هـى نفوس تبتلى هنا وتثاب هناك .. وهـى ما بين زمن ضـائع اسمه الدنيا ، وخلود أبدى اسمه الآخرة .


الدين الجديد
الذي يدعون إليه

هناك اتفاق غير مكتوب بين دول الغرب تقوده أمريكا نحو دين جديد عالمى اسمه : الديمقراطية وحقوق الانسان .. يحل محل الاديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم أعداء (هكذا يظنون) وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .

والاسلام على رأس الاديان المتهمة بإثارة العداوة والبغضاء والحرب على الحضارة العلمية الجديدة وهو على رأس قائمة الأديان المرشحة للزوال .

وقد صنعوا نماذج يخيفون بها كل من تحدثه نفسه بالإسلام أو بالحكم الاسلامى .. وهذه النماذج هى افغانستان التى يتقاتل فيه القادة الاسلاميون حكمتيار وربانى وشاه مسعود ويتبادلون الصواريخ فى كابول بعد أن استقرت اقدامهم وهزموا الشيوعية ورفعوا راية الاسلام هو الحل .. فاذا بها فى الحقيقة راية دموية اسمها : الاسلام هو القتل .

ومن هذه النماذج أيضا .. الجبهة الاسلامية للإنقاذ فى الجزائر التى ركبت الموجه الديمقراطية لتصل إلى الحكم فلما فازت بالأغلبية رفعت شعارات ضد الديمقراطية ..وأعلنت أن الديمقراطية كفر .

ثم كل ارهابى يفجر القنابل ويقتل الناس يسارعون فيضعون على صدره بطاقة « الاسلامى الأصولى » ويجعلون منه نموذجا لإسلام المستقبل ، ومعظم هؤلاء الارهابيين من صناعتهم ومن تربيتهم .. وربانى وحكمتيار وشاه مسعود وعبد الرشيد دوستم وراء كل واحد منهم دولة تموله وتسلحه وتدفعه ليظل الصراع الدموى مشتعلاً .. وليظل الاسلام موصوما بالعدوان والبربرية والتخلف والعجز .. والتناحر القبلى والطائفى فى افغانستان وراءه أموال ترعاه وتنفخ فى ناره كلماخبت زادتها سعيرا

لتظل القوى الاسلامية أحقادا مشتعلة يأكل بعضها بعضا .. وليظل النموذج الاسلامي المخيف قائما أمام كل من تحدثه نفسه بالاسلام .

ونسأل ـ ومن حقنا أن نسأل ـ عن هذه الديمقراطية وحقوق الانسان التى يريدون أن يجعلوا منها بديلا يوحد الناس ويجمع أشتات العالم .

ماهى تلك الديمقراطية التى يريدونها لنا . إن يلتسين أحرق البرلمان وسجن النواب وصادر الصحف وحل الأحزاب المعارضة وحل المحكمة الدستورية العليا التى تراقب دستورية القوانين وطالب برلمانات الأقاليم أن تحل نفسها وأعلن الأحكام العرفية وأطلق مخابراته تفتش الناس فى الشوارع .. فماذا فعل الغرب الديمقراطي ؟!..وماذا كان تعليق المتحدثين الرسميين فى انجلترا وفرنسا وأمريكا .. لقد رفع الجميع قبعاتهم وهللوا وأيدوا ..وقال كلينتون : إن الرجل يسير فى الطريق الصحيح إلى الديمقراطية !.. شيءعجيب .. عن أي الديمقراطية يتحدثون ..عن الديمقراطية يتحدثون أم عن مصالحهم ، لقد صادف تخريب روسيا هواهم فهللوا وصفقوا وأيدوا وقالوا: نعم روسيا تسير فى طريق الديمقراطية . وهل هذه الديمقراطيةهى التى ستوحد العالم . وحينما يقتل جندى أمريكى واحد فى الصومال ويوضع طيار واحد فى الأسر يرتفع ألف صوت فى أمريكا يصرخ بالتهديد والوعيد ويذكر بحقوق الانسان .. وتتحرك البوارج والدبابات وحاملات الطائرات وتنصب النيران من السماء على الشعب الصومالى الجائع العريان . وحينما يقتل مائتا ألف مسلم فى البوسنة وتغتصب ستون ألف امرأة ويشرد ٢ مليون لاجيء يلزم الجميع الصمت ، ولايخرج من امريكا صوت ولا يصدر قرار باستنكار مايجرى لحقوق الانسان ولاتقلع طائرة ولاينطلق صاروخ واحد ليحمى حقوق الانسان .. عن أي حقوق انسانية يتحدثون ؟! ونسأل ومن حقنا أن نسأل.. أهذه هي الديمقراطية وحقوق الانسان التى تبشر بها امريكا والتى يرشحها الغرب ويختارها العلمانيون لتحل محل الأديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم اعداء ؟! وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .. والمقصود طبعا هو الاسلام .. والمطلوب محوه من قائمة الأديان السماوية

هـو الاسلام ..فهـو وحده الـذى يضمر العـداء .. وهو وحـده الذى ينـوى الخراب للعالم وهو اتهام مثل قـول البعض ان محاكم التفتيش فى العصور الـوسطى هى المسيحيـة التى دعـا اليها المسيح .. وهـو ليس اتهامـا وانما تشنيع ظالم وسـوء نية وخلط فكرى وهـذا هو عالم اليوم .. مسرحا للظلم والفـوضى الفكـريـة وتسـابق فى خلط الاوراق .. ومحاولـة لمحـو الأديـان واتهامها بما ليس فيهـا للخلاص منها . ولـن تصلح الديمقراطيـة دينا ولا حقوق الانسـان ملة لأنهم يجعلـون منها ثيابـا فضفاضـه يفصلونها على هـواهم ويقيسـونها على مصـالحهـم . فـديكتـاتـوريـة يلتسـين هى عين الديمقراطية لأن خراب روسيا وانقيادها يروق لهم . وسيظل دين الاسلام الذى أنـزله الله هـو الحل لأنه لايتبع الهوى ولايحابى جنسـا على جنس ولا لـونا على لـون ولاقومـا على قوم .. فقـد جاء الاسـلام وجاء محمـد رحمة للعـالمين وليس رحمة للشرق الأوسط أو الجزيرة العـربيـة وحدهـا . ولأن الاسلام يعنى القيم والمثـل والاخلاق ولأنه يأمـر بالعـدل ويحمى حقوق الانسان من قبل أن يعرف الاوروبيون هذه الحقوق .. وبدون القيم وبدون الاخلاق لن تقوم للـديمقراطية قائمة ولا لحقـوق الانسان وجود ولن تصلح أى من هـذه النظم الـوضعية بـديـلا للـدين . ولأن الديـن يقو ولايصدق عمل دون أن تصدق النية .. فلن يكون للدين بديل و أن يحل محله .. لأن النيـات لامكان لها عند الماديين فهى عندهم عيب وهم لايعبـأون الا بالظاهر ولايعمـلون الا للظـاهر . والاسلام اعطانا الخلود واعطانا الآخرة ووعدنا بالجنة الابـدية . فماذا وعدونا هم سوى الكوكاكولا والهامبورجـر والجينز ومـادونا وجاكسـون وسائر المتع المنحلة ثم عمر قصير ينتهى با لموت والتراب .. ولنا روح لاتفنى هى نفخة الله فينا ولنا رب لايموت فماذا تعد أحزابهم العلمانية أتباعهـا سوى الغرور والمغانم الوقتية واحلام السيطرة الزائفة وماذا عنـدهم سوى المال الزائل والحظوظ الفانية .. ومرحبـا بالديمقراطيـة الصحيحة ونحن نهتف معهم لهذه الديمقـراطية ونسعى اليها ولكنها لن تصلح بديـلا لديننا وانما هى مجرد شرعة تستقيم بها دنيانـا وهى بعض مايأمر به اسـلامنا وهى بعـض أعمدته التـى أقام

عليها عمار الأرض وصلاح المجتمع . والإسلام يجمع لنا حسنات الدنيا وحسنات الآخرة .. وهو الغذاء المتوازن للروح والجسد والاشباع الكامل لتركيب الانسان الجامع بين تراب الارض ونورانية السماء . وستظل كل النظم الوضعية من اشتراكيات ورأسماليات وديمقراطيات وديكتاتوريات كيانات ناقصة فى حاجة إلى زرع ضمير وزرع قيم وزرع أخلاق لتعيش وستظل كمريض الفشل الكلوى فى حاجة الى غسيل دم وفلترة سموم دورية متكررة لتستمر ؛ لأنها لاترى فى الانسان الا جسمه وحاجاته المادية ووجوده العابر .. ولاتبصر روحه ولا تعترف بالذات الالهية التى نفخت فيه تلك الروح . ونعترف معهم أن اكثر المسلمين متخلفون رجعيون كسالى ، ولكننا نقول إن تلك الكثرة المتخلفة لاحظ لها من الاسلام إلا الاسم والبطاقة.. وأنها ليست حجة على الاسلام ولكن الاسلام هوصاحب الحجة عليها .. ونقول ان الله امتحن المسلمين بالدنيا ليميز الخبيث من الطيب.. وقال إن اكثر الناس لايفقهون، وأن أكثرالناس لايؤمنون . وقال عن المؤمنين : « وقليل ما هم» وسيظل الاسلام تحديا مستمرا لكل ماتقدم العقول من بدائل . والاسلام يحتوى على الديمقراطية ولا تحتوى الديمقراطية عليه كما يحتوى على كل ماقالوا من حقوق الانسان وعلى أكثر مماقالوا .. بل ان ثورة الحفاظ على البيئة وعلى التنوع الحيوى التى يقول بها مثقفوهم الآن هى أصل من أصول الاسلام .. لان الأرض وماعليها ميراث المسلم وهو مسئول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تنميتها مثل مسئوليته عن ميراثه والتاريخ يقول ان المسلمين كانوا مسالمين وان العدوان دائما كان يأتى من الأطراف الأخرى .. حروب الاستعمار والحروب الصليبية.. هم الذين أعلنوها والغزو الثقافى والفتن الشيوعية هم الذين روجوها ، والإبادة التى تجرى للمسلمين فى أوربا حاليا هم وراءها وهم مدبروها .

ومازال التاريخ يحكى.. ومازال المسلمون يتلقون الرصاص عن يمين وعن شمال .

عن السوق الشرق أوسطية

المتفائلون يقولون إن السوق الشرق أوسطية والانفتاح على اسرائيل سوف يأتى بنهر من الاموال والمعونات والدولارات والخير العميم لمصر وان

علينا ان نفتح أذرعنا بلا تفكير ونتعامل مع تلك الفرصة المتاحة بدون عقد وندع مخاوف السياسة ووساوس الدين وراء ظهرنا ونفكر بذهن اقتصادى محايد وبأسلوب علمى موضوعى.. فهذا مشروع مارشال آخر فى الطريق وسوف ننهض كما نهضت المانيا فى سنوات قليلة.

وعن التنافس مع اسرائيل فى ظروف غير متكافئة يقولون:

إذا كان فى اسرائيل علماء فعندنا علماء نوابغ فى كل فرع ويكفى أن نذكر أحمد زويل المرشح لجائزة نوبل فى أمريكا والدكتور مجدى يعقوب الذى حصل على لقب «سير» فى أنجلترا .. وغيرهم وغيرهم فى كندا وفى اوربا وفى كل مكان .

وأقول لهم: نعم هذا حدث ولكنكم نسيتم أين تفتحت مواهب هؤلاء وأين نبغوا.. انهم ظهروا ونبغوا حينما هاجروا إلى امريكا وانجلترا وعاشوا فى مناخ مختلف .

إن مصر مليئة بالمواهب والعبقريات هذا صحيح ولكن المناخ العلمى والاجتماعى فى مصر سيىء ومتخلف والبروقراطية والسرطان الحكومى والشللية تجثم على أنفاس الناس وتكبل مواهبهم.. كم من الأموال ترصد للجامعات والشركات الكبرى للأبحاث.. مبالغ لاتذكر.. بينما هى فى امريكا وأوربا واسرائيل مليارات..لقد اصلحوا مرصد هابل فى الفضاء بمليار وخمسمائة ألف دولار بينما مرصد القطامية معطل على الارض من سنين على مبالغ تافهة لاصلاح مرآته ومازالوا يجتمعون وينفضون بدون حسم.. وبدون نتيجة.. والقبة السماوية فى أرض المعارض عندنا انهدمت على مافيها لم تتحرك يد لبنائها وتجديدها.

وكل شىء يجرى فى حركة بطيئة سلحفائية لاتلبث أن تتوقف فى اختناقات ومعوقات لاآخر لها .

والوعود بإصلاح البروقراطية مازالت كلام جرائد والقضاء على البلهارسيا فى مصر أسهل الف مرة من القضاء على البيروقراطية.. ومع ذلك مازالت البلهارسيا موجودة منذ خمسة آلاف سنة. وهناك كارثة حقيقية فى التعليم وتخلف فى المناهج وبدائية فى المعامل والمختبرات وتكدس وازدحام فى الفصول والمدرجات يمنع من تحصيل أى فائدة .

إن البنية الاساسية للعلم والبحث تكاد تكون غير موجودة.

ونحن في حاجة أولا إلى اصلاح البنية الأساسية للعلم لندخل في أي سباق.

وللأسف نحن نهتم بالكورة أكثر .. وقد انفقنا ثلاثمائة مليون دولار على الدورة الاولمبية الإفريقية بدون عائد سوى السمعة الكروية الكاذبة..

إن التفكير السياسي في بلدنا يجب أن يتغير والأولويات يجب أن يعاد النظر فيها.

ولاتوجد أولوية قبل التعليم والبحث العلمي إذا أردنا أن ندخل هذا العصر وأن نسابق سنغافورة ولا أقول اسرائيل.

ولست ضد السوق الشرق أوسطية ولكن علينا أن نمتلك أدوات اللعبة قبل أن ندخلها ولا نفرط في حسن الظن ،فإسرائيل تريد مصلحتها بهذه السوق قبل مصلحتنا.. والفلسطيني والسوري واللبناني هم عمالقة التجارة وحيتان السوق وقد هزمتنا لبنان في سوق الكتاب وكانت بيروت عاصمة النشر وعاصمة الكتاب العربي حتى وهي في غمرة الحرب الأهلية.. والكتاب في لبنان كان يتحرك في سهولة أكثر لينتشر في العالم بأسرع مما يتحرك الكتاب في مصر حتى ولبنان تمطرها الصواريخ.. وهؤلاء ومعهم أسرائيل هم المنافسون الجدد الذين سننافسهم في السوق الشرق أوسطية.

لماذا لانتجه غربا الى ليبيا وجنوبا الى السودان فهناك ثروات بكر وغابات غنية ومساحات فلكية وفرص للاستثمار وأسواق بلا حدود.

ولماذا نقف على البوابة الامريكية لانبرحها.. لماذا لانتحرك دبلوماسيا نحو الصين..إن اسرائيل ترابط هناك منذ عشر سنوات وزيارات الخبراء والوزراء وأصحاب الشركات الاسرائيلية لاتنقطع.. وقد تحدثت الصحف اخيرا عن التكنولوجيا المتطورة التي تسربها اسرائيل الى الصين كرشوة محبة وعربون صداقة منذ أكثر من عشر سنوات.

لقد أدركت اسرائيل أن الصين هي نجم الشروق المقبل فرابطت على بابه ووقفت في رحابه.. بينما وقفنا نحن على العتبة الامريكية لانبرحها.

إن السياسة المصرية في حاجة إلى اعادة نظر في كل شيء..وتوجهاتنا آن لها أن تتغير.

● ● ●

مأســاة مسلمى البوسـنة

توارت أحداث البوسنة خلف حريق برلمان روسيا ومذبحة الديمقراطية فى موسكو ومذبحة الجنود الامريكيين فى الصومال وصراع بى نظير بوتو ونواز شريف فى باكستان وأخبار الزلازل والأعاصير والسيول فى كل مكان ثم عادت تطل برأسها الدامى الرهيب من جديد .

وقرأنا عن الفظاعات التى يرتكبها الكروات وكيف أنهم يقيدون أسرى المسلمين بأحزمة من الديناميت والمتفجرات ثم يضعونهم فى مقدمة جيوشهم الزاحفة ليكونوا دروعا واقية لعدوانهم وكيف أنهم يملأون الخنادق بالألغام ويضعون فيها الأسرى المسلمين لتحميهم إذا تراجعوا وقد تفوق الكروات على الصرب فى البشاعة والحقد وقرأنا عن اغتصابهم لعجائز النساء والأطفال إمعانا فى الاهانة والاذلال بعد أن كانوا رفاق السلاح بالأمس .

ثم بعد ذلك يلوم البعض الرئيس المسلم عزت بيجوفتش لأنه رفض التقسيم ، وشرط قبوله بإعادة الاراضى المنهوبة وتقديم الضمانات الدولية التى تضمن التنفيذ ، وقولته المشهورة: نموت واقفين أفضل من أن نموت راكعين.. وهى قولة بطل.

لقد تأسف كلينتون لهذا الشرط الذى وضعه المسلمون لقبولهم للتقسيم.. وعجبت لأسفه.. فماذا كان يريد منهم أن يفعلوا.. وهل هو معهم أم عليهم ؟!

وذكرتنى بطولة المسلمين البوسنويين بموقف الصوفى المسلم الشيخ نجم الدين الخوارزمى حينما دخلت جيوش التتار خوارزم ، فدعا الناس للصلاة جماعة ثم قال لمريديه : قوموا نقاتل فى سبيل الله ودخل بيته فلبس خرقة شيخه وحمل على العدو فرماهم بالحجارة ورموه بالنبل وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم فى صدره فنزعه ورمى به نحو السماء وتفجر دمه وهو ينشد مخاطبا مولاه:

إن أردت فاقتلنى بالوصال أو بالفراق.

وفى كتابه «فواتح الجمال وفواتح الجلال» يروى الدكتور يوسف زيدان حياة هذا الصوفى الذى يعده أعظم رجال التصوف السنى فى المشرق الاسلامى.. ولمن يريد أن يعرف المزيد عليه أن يبحث عن الكتاب.

وهؤلاء هم المسلمون الذين احبوا لقاء الله فتسابقوا سابحين إليه ف أنهار من دمائهم.

وما أراد الله بالقدر الدامي الذى يجريه في البوسنة إلا ليضرب لنا مثلا وليشهدنا ويشهد الدنيا..

لماذا خلق الجنة ولمن خلقها.. ولماذا خلق النار ولمن خلقها.. وليشهد ملائكته على أحبائه وليقول لهم: اكتبوا أن هؤلاء أحبائي وانا وحدى القادر على مثوبتهم ومن أجلهم خلقت جنتى وأن هؤلاء أعدائى المبغضون ومن أجلهم خلقت نارى.

واذا كانت أوروبا وامريكا تخشى الاسلام وتجعل منه عدوها الأول.. فلأنها ترتجف رعبا من هذا الايمان .. ومن هذه المثل البطولية التى لاتدرى كيف تتعامل معها بالدولارات .. إنها تخشى هذه الطاقة الاسلامية الكامنة.. ولاتخشى واقعا عدوانيا.. فالمسلمون فى الحضيض ولايملكون تهديد بعوضة.

وأقول للحكومات الاسلامية المتقاعسة عن نجدة الاخوة فى البوسنة الذين لم يطلبوا منهم إلا المال والسلاح.. وفي اجتماع الدول الاسلامية الأخير لم يطلب عزت بيجوفتش إلا مائتين وستين مليونا من الدولارات (ثمن قصر صغير من قصور الترف العربية وآخر قصر فى لندن يبنيه ثرى عربى بتكلفة ٧ مليارات من الدولارات).. ومع هذا لم يظفر عزت بيجوفتش من الكرم العربى بأكثر من خمسين مليونا من الدولارات.

وعجلة الزمن تدور.. وتوشك الستار أن تسدل على الابطال الصامدين فى الميدان وأقول للحكام العرب:

ادفعوا لتنجدوا أنفسكم من أهوال يوم عظيم فإنكم أمام إله لاينسى.

ادفعوا قبل أن تسدل الستار ثم لايبقى لكم إلا الندم.

انجدوا أخوانكم فى خندق الموت قبل أن تلحقوا بهم والموت أقرب الى كل منا من شراك نعله.. وما الدنيا بزخرفها إلا ديكور من الخرق الملونة وأوراق اللعب.. وغدا ينهد السامر ويتفرق السيرك الى حيث لاتنفع صلاة

ولاصيام ولا ينفع إلا قلب سليم من الغش ، خال من النفاق وأيد صدقت وعملت وجاهدت فى سبيل كلمة الله .

وأخيرا حيث لا أحد يقرأ ولا أحد يسمع وقد وضع الكبار القطن فى آذانهم.. فإنه لم تتبق الا الشعوب.. لم تبق سوى كلمة الشعوب .. الف مليون مسلم يمكنهم مباشرة المقاطعة الفعلية لمنتجات هذه الدول .. وسوف يجدون البديل الجديد فى السلع اليابانية والصينية والكورية، فى كل مايحتاجون اليه فلا يشترون فتلة من المنتجات الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الامريكية أو الصربية .

أنهم يمكن أن يثبتوا أن لهم وزنا وأن لهم كرامة.

وأغنياؤهم يمكن أن يعطوا المال.

وضعفاؤهم يمكن أن يخروا ساجدين ويرفعوا الأيدى بالابتهال والدعاء.. ويصرخوا الى الله داعين كما دعا موسى على فرعون وقومه:

« ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ».

فليسجد ضعفاؤنا باكين متضرعين متوسلين بجميع قلوبهم :

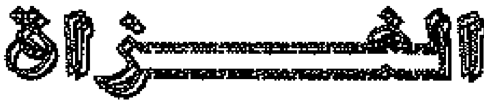
ربنا زلزل بنيانهم وامحقهم عددا وبددهم بددا واحجب عنهم علمك وامنع عنهم فضلك واقدر عليهم رزقك.. ربنا وعاملهم باسمك العلى الجبار المتكبر المنتقم المهيمن المذل القابض المميت.

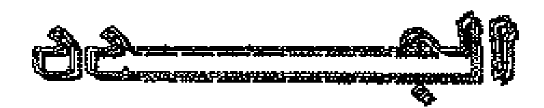
ربنا ياناصر المستضعفين ومجيب دعوة المضطرين .. انصر هذه القلة الثابتة الصابرة المصابرة المقاتلة من مسلميك فى سراييفو وفى أنحاء البوسنة وايدهم بجنود من لدنك.. فلا إله إلا انت سبحانك ولا احد يعلو عليك..

إن اعداءنا قد بغوا علينا بقوتهم ونسوا قوتك وحسبوا حساب كل شىء إلا وجودك.. فذكرهم يارب بأيامك.

ادعوا من قلوبكم يا أخوة موقنين بالاجابة.. فليس بين دعوة المظلومين وبين الله حجاب .




الغزاة


الجدد

اللافتات وأسماء المحلات في الشارع المصرى تكاد تختفي منها اللغة العربية وحيثما ذهبت بعينك لاترى الا أسماء فرنسية أو انجليزية أو ايطالية .. على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كونتيننتال .. روستوران أورينتال .. بوتيك شارم .. بيتزا ايطاليانو .. عصير مادونا .. حلوانى دليشس .. كافيه كابتشينو .. أيس كريم تاون .. كويك فود .. كوافير رومانتيك .. عجلاتى كويك رن .. ميكانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. ترزى شيك .. أزياء مودرنا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هذا أبدا في المساجد .. وانما تجد الأسماء العربية والعربية الفصحى .. مسجد الرحمة ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسجد الرضوان .. ومسجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسجد المغفرة .

الاسلام هو الذى حفظ هوية المنطقة .. وهو الذى مازال يضبط النطق العربى .. وفي هذه الفوضى من التفرنج والاغتراب كان المسجد هو مؤشر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

ومازلت أعتقد أن الدين هو الذى حفظ المنطقة من الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون .

وكان من نتيجة هذا العامل الدينى الضابط للايقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمر هو الذى يتلون باللون العربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجة المصرية والنكتة المصرية والأكلة المصرية ، ونذكر أن الاسكندر حينما غزا مصر لم يستطع أن ينقل اليها آلهة الأولمب اليونانية وانما على العكس ألبسه كهنة سيوة ديانة آمون وخرج من معبد سيوة على اعتقاد انه ابن الاله المصرى الذى حبلت به أمه المقدونية .. وكلها أدلة على

سلطان الدين وقوته فى مصر .. وأن مصر تصبغ الـذى يغزوها رغم مايبدو فى ظاهر الشارع المصرى انها هى التى تصطبغ بلونه .

والحقيقـة ان الغـزو الثقـاف رغم ضراوته لم يتجـاوز القشرة الـرقيقـة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمـام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضور الاسلامـى يفرض نفسه هذه الأيام ونحن نرى الآن الهوية الاسـلاميـة تملأ الساحة بكل درجات الطيف من الحضـور الاسـلامى الواعى والمستنير الى التشـدد والتطرف الى الهوس الى الاغـراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات الى الجنون والفوبيا الدينية ..

والهوس والتـدين الشكلى والنقاب والقفـازات والعباءات السـود هى فى نظرى غـزو ثقافى آخـر مضـاد وهو أجنبى عنـا وعن اسـلامنـا بقدر غـربة وأجنبية العرى الفرنسـى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الاسلام مـن داخله مثلما أن الثقافات الامريكية المنحلة هى سلاح مسدد لهدم الاسـلام من خـارجه.. والفرق انه غزو للبيت من بابه.. غزو يستعمل نفس الأبجديـة الاسـلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب.. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم.. ولا اله إلا الله..كما نقول.

وجماعة البـلاليين فى أمريكـا (نسبة إلى بـلال) الذيـن يركبـون البغلة اقتداء بـالرسـول عليه الصـلاة والسـلام ويأكلـون بأصـابعهـم ويقضـون الحاجة فى الخلاء.. هم نمـوذج آخر من هذا الهراء الـذى يسـىء إلى الاسـلام ولمعنى السنة المحمدية، فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتميـز عن اقرانه بركـوب البغال ، فالكل كـانوا يركبون الدواب وكانوا يقضـون الحاجة فى الخلاء وكانـوا يأكلون بأصـابعهم.. وإنما تميـز وانفرد بالصدق والأمـانة والشجاعـة والشهامة والتقوى ومكـارم الاخلاق.. وفى هذا يكـون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالاصابع وفى قضـاء الحاجة فى الخـلاء.. وليس فى ذلك السـخف أى سنة وانما هو غزو ثقـاف مضـاد يستخف بالاسلام ويهزأ من السنة ويضـحك على العقول.

وكل هذه التيارات المتناقضـة تموج بها دوامة الشارع هذه الأيام.

ولايدرى بعض دعــاة الاسلام أنهم دعــاة ضــد الاســلام من حيث لا يشعرون.

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس .

ولا ننسى الغــزو الاخـر الجهير القــادم من الشمال فى سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغنــاء الــديسكو ومـــوسيقى الـــزار والهلوسات التشكيلية التى تدلق الألوان على اللوحــات وتسميها جماليات سيريــالية ، وتضع كــومـة من الزلط وتسميهــا نحتـا ، وتجمع زبالــة من الحديد الصدىء وتسميها تمثالا.

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعر .. والمذاهب الجديدة فى النظم بلا نظم .. والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو وبلا اعراب .. وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة .. وقصيدة ج وأمثالها .

ثم الغــزو الآخر الفــاجـر فى الروايـة الجديـدة لسلمان رشدى « آيـات شيطانية » الـذى تصـور مؤلفها أنه أتى بـإبداع جديد فى عالم الـرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وماعبر الا عن مرضه النفسـى .

ومصر بلد مفتــوح النوافذ على ثلاث قــارات : أوروبا وآسيا وافـريقيا .. وهى لا تستطيع أن تغلق أبــوابها لأنها جسر عبــور وممـر تجارى وثقــافى وحضارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترولها ومعادنها ونـاسـها وتاريخـها وهى مطمع الكل .

وفيما مضـى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش .

أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشاشة التليفـزيون .. ويحكم من داخل صندوق النقـد الدولى .. ويسيطر من خـانة القـروض والفوائد .. ويتسلل من ثغـرة التكدس السكـانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيـوش الآن جيـوش خفيـة .. اسمهــا .. الموســاد .. والـــ CIA والماسونية .. والمخدرات .. والارهاب .. والقنابل .. والمتفجرات .

والتآمر يستعمل الآن نوعا جديدا من العمالة الراقية .. هم وجهاء الناس وكبراؤهم وسادتهم وأغنياؤهم .. كما يستعمل نوعـا آخر من العمالة الدون يدربها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات .

وفى هذه الأجواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى .

وفى هـذا العصر المرعب يعيش العالم المقبل على فواتح القـرن الحادى والعشرين .

والمتابع للإخبـار والقارىء للصحـف يصاب بضغط الدم والذبحـة والجلطـة والاكتئاب لكثرة مـايقـرأ ويشـاهد من الانفجـارات والثـورات والانقـلابات وعجائب الجرائم واحـداث القسـوة والعنف التى تشيب لها الـــــــرؤوس وكـأنما اختفى الضمير فجـأة وتحول البشر الى قطيع مـن الحيوانات .. وتتكلم دول كبرى عن حقـوق الانسان وهـى ذاتها تدوس على عنق هـذا الانسـان بـالحذاء .. ووسط هـذا الجنـون لاشىء يمسك على الانسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتـاع الملتاع سوء بقية من دين وبصيص من ايمان عميق واسـلام صـادق منقاد لقضـاء الله وقـدره واثق بحكمته المستترة الخافية من وراء كل شىء .

مـاذا يـريـدون ؟

أمـريكا تثير العـالم على ايـران وتحاصرها بـالتهم وتلفق لها الأخبـار وتدفع عليهـا الأصدقاء والحلفـاء وتحرك سفاراتها فى كل مكـان .. ويبدو انها تمهد المسرح لشىء وتبيت لعدوان مـخطط . ولكن السؤال : لماذا تحـاول أمريكا أن تضرب ايـران بأيد عربية ؟ لماذا تحـاول أن تضـع عدوانها فى قفاز عربى كما فعلت فى حرب الخليج ؟ .

لماذا لاتفعل مـاتـريـد أن تفعلـه فى وضح النهـار دون ان تتخفى خلف العباءات العربيـة بدعـوى الانقـاذ واعادة السـلام والتوازن إلى المنطقـة والتحذيـر من الارهاب .. ألخ .. ألخ .. رغم أن التحقيقـات تقول كلامـا آخر وتكشف عن مصادر أخرى للارهاب غير ايـران ، فالخيوط كلها تلتقى عند مجموعة بيشاور ومجموعة بيشـاور ، كانت تعمل بأموال أمريكا وتسليح امريكى وكانت تنفـذ تخطيطا أمريكيا فى قتالها للسـوفييت .. فهى مجموعة عملاء لأمـريكا منذ البداية .. ثم ان كل الذين قبضـوا عليهم بتهمة تفجير

القنابل وقتل الســـائحين فى مصر قالـوا انهم تلقوا أوامرهـم من الشيخ عمر عبد الرحمن وهو يصدر أوامره من نيويورك وليس من طهران .

ثم ان البـاعث للقلق الأمـريكي هـذه المرة ليس عـربيـا كما كـان حينما اعتـدى صـدام على الكـويت ، ولكـن البـاعث على القلق هـذه المرة اسرائيلى صريح .. هو شوكة حماس وحزب الله التي تتوجع منها اسرائيل ويتألم لها الحليف الأمريكى .. وهـو أيضا تـراكم السلاح فى ايران وهـو أمر لاتـريده اسرائيل فى ايران ولا فى أى بلد اسلامى .

وحينما تـراكم السلاح فى تـرسانـة العـراق من قبل تحرك البنتاجـون الأمريكى كله ولعب بوش بغرور صــدام ليدفعه إلى الكويت ليضربه الضربة القاضية بدعوى تحرير الكويت بينما كان الهدف الحقيقى هو القضاء على تـرسانـة العراق وتحريـر البترول من اليد العـربية واعـادته الى السيطـرة الأمريكية وامتصـاص فوائض الثروة العربيـة من المنطقة وتركهـا فريسة الثأر والأحقاد والكراهية والجراح التى لن تلتئم لمائة سنة قادمة .

كان الهدف اذن هو الصالح الاسرائيلى والأمريكى رغم ان الهدف المعلن كـان الصـالح العـربى .. واليوم تتكرر المسرحية بإخـراج جديـد ورئيس أمريكى جـديد هو كلينتون وضـحيـة جديدة هى ايـران .. وليس بيننا وبين ايران ثأر .. وبعـد الدرس الذى أخذناه من حـرب الخليج والجراح والأحقاد والنـزيف الاقتصـادى بلا عـائد .. لن تجد أمـريكـا الزعيم العـربى الـذى يطاوعهـا على هذه المغـامرة الجديـدة ويحرق بلده ويـدمر أسلحتـه ويبدد ثروته فى صراع عقيم بين أهل دين واحد وملة واحدة .

ثم لماذا تصفيـة القوة الاسـلاميـة والسلاح الاسـلامى فى كل مكـان .. ولماذا الاسلام هو الهدف دائما ؟ .

واذا كـانت أمريكـا قد أحجمت عـن الضربة الجويـة للصرب دفاعـا عن مسلمى البوسنة بدعوى أن أمـريكا ليس لها مصلحة .. فلماذا نراها تخطط لضرب القوى الاسـلامية الايرانية فى أقصى الشرق .

هل المصلحـة هـذه المرة أكبر وأوثق ، ومصلحـة أمـريكـا أو مصلحـة اسرائيل أو مصلحة الغرب ؟ !

ولكن أين مصلحتنا نحن .. أم أن مصلحتنا غير واردة ؟

ونحن طيبون وسُذج هذا صحيح .. ولكن ليس لهذه الدرجة .

وتاريخ أمريكا منذ نشأتها بدأ بـاغتصاب القارة الأمريكية بقوة السلاح وإبادة من عليهـا من الهنود الحمر ، وقـد ظل طول الـوقت تاريخا تآمـريا ونظامـا تآمـريا .. ومعظم رؤسـاء أمريكـا في عصرها الحديث خـرجوا من المخابرات وكانوا مديرين نوابغ لـ CIA .. والميثاق الذى جمع بين أمريكا واسرائيل .. كـان ذلك الهـدف الواحـد . التـآمـر على العـالم والاستئثـار بخيراته .

وكلنا سمعنـا الخبر الطائر الـذى جاءنا مـن ايطاليا .. ومـا قالتـه لجنة التحقيق في الانفجارات الأخيرة في ايطـاليا من أن الموسـاد كـانت هي الطرف الذي يورد السـلاح والمتفجرات لعصابات المافيا والألـوية الحمراء .. وانها أرادت أن تثبت بـذلك لحليفها الأمـريكي انها أقدر على الـدفاع عن مصـالح البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا المليئة بالقلاقل والاضطرابات .

وأمريكـا أكثر الدول كلامـا عن حقوق الانسان وأكثر الـدول محاسبة لغيرهـا على هذه الحقـوق ، ومع ذلك نـرى منهـا وجها مختلفـا في مأسـاة المسلمين في البوسنة .. وكأن المسلمين الذين يقتلـون هناك ليسوا من جنس الانسان .

وما أكثر الزعماء الذين ركنـوا الى الحضـن الأمريكى ثم انتهوا الى الهجر والغدر والطعـن في الظهر مثل شـاه ايران ونـورييجا ومـاركوس ودفـاليه وتشـاوتشيسكو وصدام وموبوتـو .. والبقية آتية .. وكان الغادر في كل مرة هو الصديق الأمريكى .

أقـول هـذا للـذكـرى .. وحتى يعلـم من لا يعلم .. أخـلاق الصـديق .. ويتحسب أخطار الطريق .

وعن السوق الشرق أوسطية مرة أخرى

كتب أمين هـويدى وزيـر الدفاع الأسـبق كلامـا مهمـا عـن السـوق الشرق أوسطيـة دق فيه أجـراس الخطـر ونبه الغـافل وأيقظ النعسـان الى المنحدر الـذى يسير فيه الجانب المصرى في عمليـة بناء سـوق مشتركة على غير أساس .. المفروض أن تتفـق فيها أطراف عربية وأطـراف اسرائيلية هى بالفعل غير متفقة على أى شيء .. فمشروع السلام فاشل .. واسرائيل تحتل

الأرض العربيـة وتنسف البيوت وتقتـل الأطفال وتطلق الرصاص على أى صوت يعـارضـها . وقال أمين هويدى فى صدق وصراحة : إن هـذه السوق التى نواتهـا مصر واسرائيل هى فى حقيقتهـا مقـامـرة بمسـتقبل مصر ومستقبل العرب الاقتصـادى لأنها سوق مشتركـة بين فريسـة وصياد .. بين طامع أطماعه وأحلامه بلا حدود يريد أن يهيمن ويسيطر ويتسلط .. وجماعـة عربيـة ممزقـة ضعيفة ومـدينـة ومحظور عليهـا مصادر القـوة والسلاح .

وكيف تقوم شركـة عادلة بين طـرف غاصب محتل لأرض عربيـة بدون وجه حق .. وطـرف آخر لايجد سـوى الطوب والحجارة والصراخ فى أروقة الأمم المتحـدة .. وكيف يكون لاسرائيل فى هـذه الشركة سهم مسـاو لسهم مصر ، واسرائيل بتعـدادهـا الكلى لاتزيـد على سكـان حى شبرا بينما مصر سوف تعطى الأرض والأيدى العـاملـة ورأس المال والنفط (الذى تطـالب اسرائيل بأن يصب فى مصـافى حيفا) وأنابيب المياه التى تريـد اسرائيل ان تشارك فى التحكم فيهـا .. ثم تظل رافعة لأسلحـة الدمار الشـامل وللقنابل الذرية تهدد بها الجميع .. أى شركة تلك التى يـأخذ فيها طرف كل شـىء ثم لا يعطى الآخر أى شىء .. ثم يظل يهدده طـول الوقت بتفـوق سـاحق فى السلاح والمعدات ؟

يقولـون هى تعطى الخبرة والعلم والهندسة الـوراثية التى تنبت الفلفل البنفسجى والفلفل الأبيض والفلفل البرتقـالى .. وأقول ذقنـا هذه الخبرة فى خيار بطعم البلاستيك .. وأكلنا دجـاجا من هذه المزارع بطعم القطن الطبى وأكلنا سلالات من الموز تدهـورت أصنافها وأصبحت بطعم القلقـاس ، ولا أتحدث عن الطماطم التى لا تنتسب إلى مـذاق الطماطم بسبب ، والفـراولـة الماسخة التى فى طعم قشر البطيخ .. ولا أتحدث عن اسطورة القطن المصرى العظيم الذى تحول الى محصول هامشى .. وعن النقص فى محصول القمح الذى يضعنا تحت أقدام منتجى القمح الأمريكى .

ولا نطعن فى الخبرة الاسرائيلية .. معـاذ الله .. ولكنـا نسـأل الـوزير والزراعى الهمام يوسف والى : لماذا لا ينوع فى الخبرات التى يستعين بها ؟ ، ولماذا يضع الأرض المصريـة والمحـاصيل المصريـة رهينـة للخبرات

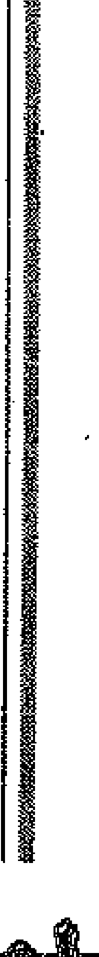
الاسرائيلية وحـدها ؟ يقينا إن اسرائيل ليست العبقـرية الوحيـدة فى الميدان الزراعى .

والثقة التى يضـعها وزيرنا فى اسرائيل لاتكفى أساسا لمشروع كبير مثل السوق الشرق أوسطية ، فنحن هنا أمام بناء أمة وسوق عالمية تشترك فيها كل الأمـم ، والمفـــروض أن يشترك مجلس الشعب ومجلـس الشـــورى والمجالـس القوميـة المتخصصة ، ومصر بكل قيـادات الرأى فيهـا والبلاد العربية صاحبة الشأن فى الرأى والمشـورة .. وأن يكون هناك جو سياسى يـوحى بالثقـة واتفـاق شامل يـوحى بـالأمان .. وأن تتنـازل اسرائيل عن الأرض وعن السلاح الذرى وترفع يدهـا عن القدس .. اما أن تضع يدها على الأرض والماء والنفط وتلـوح لنـا بأسلحـة الموت وتجعلنـا نعيش فى جـو سياسى مكهرب .. فتلك مشروعات ابتلاعية وليست سوقا شرق أوسطية .

وسـاذج من يتصـور أن ورقـة كـامب ديفيـد يمكن أن تحول العـدو الاسرائيلى فى غمضـة عين الى حبيب ، وأن تمحـو التـاريخ وتبـدل النفـوس وتغسل الأرواح .. وصـوت الرصـاص الـذى يحصد أطفـال غزة والضفـة شـاهد على صدق كلامى .

وتـرسـانة السـلاح التى تتنـامى فى اسرائيل تنبىء عن عـدو يتحفـز .. وطوابير المهاجـرين التى تتدفق تطلب لنفسها أرضـا ومياهـا ومجالا حيويا تعمل فى داخله .. تعبىء الجو بـالتوتـر والتربص ولا تبدو تمثيليـة السلام التى تقودها أمريكا جادة ولا مقنعة .

وعملية سلق مشروع سوق شرق أوسطية فى هذا الجو أمر سابق لأوانه ونريد أن نفهم أولا الى أين نسـير .. أو الى أين يسـار بنا ؟!




المسلمون
في خندق

أفكر دائما وأسأل نفسي وأتساءل : لماذا لم يحقق الله حلم الإخوان المسلمين بالوصول الى السلطة.. أليسوا رجاله.. لماذا أطلق عليها ذئاب عبد الناصر.. ولماذا فعل نفس الشيء في حزب النهضة الاسلامي في تونس فترك الغنوشي وأتباعه لمباحث زين العابدين بن علي ومن قبله للحبيب بورقيبة.. وفي الجزائر أحبط آمال الحزب الاسلامي للإنقاذ وهو على وشك الفوز بالحكم.. وفي المغرب لم يكن حزب العدل والاحسان الاسلامي بأحسن حظا من اخوته ، وفي سوريا وفي العراق لقى الاخوان مصيرا أسوأ على المشانق والمقاصل وفي ظلام الزنازين..

لماذا لم يستخلفهم ربنا كما وعد في قرآنه : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا» (٥٥ ـ النور) أم أن شروط الآية لم تتوافرفيهم ؟ .أكاد أرى من هذه المحنة القدرية التي تكررت مرة بعد مرة .. ان الله يفضل للاسلام أن يحكم من خلال أشواق الناس وضمائرهم على أن يحكم من خلال جماعة تصل الى السلطة بالقوة .. وانه يريدللمسلمين أن يسلموا اليه أحرارا وأن يقدموا عليه اختيارا بوازع من نفوسهم وليس بوازع من كرباج الحاكم .. يريد للاسلام أن يكون وعيا شخصيا وفرديا لا أن يكون قالبا اجتماعيا صنعه الرعب . لايريد الله للاسلام أن يأتي على ظهور الدبابات ولا أن يجي انقلابا مثل النازية والفاشية والبلشفيه كما رأيناها تأتي في المانيا وايطاليا وروسيا .. وإنما يريده اقتناعا وايمانا وتطوعا ومحبه . وقد جاء النبي (بلفظ القرآن) .. داعيا الى الله بإذنه

وسراجا منيرا . فالاسلام دعوة لاثورة واستنارة لاانقلاب . والله يعلم أن كراسى السلطة تغير الناس وتمسخ نفوسهم .. وما كان لحاكم أن يصل الى الحكم دون اذن من الله ، فهو سبحانه ملك الملوك الذى لايتم على الأرض شيء بدون مشيئته . والله يقول : « واتقونى ياأولى الألباب » لم يرد ربنا أن نتقي الحكام ولا أصحاب السلطان .. ولقد أخطأ التنظيم الأخوانى حينما تحول من دعوة حرة الى تخطيط صريح سرى ، ثم إلى تخطيط يتخذ العنف سبيلا للوصول الى السلطة .. فبدأ العد التنازلى لنهايته من ذلك التاريخ . والله يعلم أن الفضيلة لايمكن أن تأتى بقرار وزارى ، وأن العفة لايصنعها مرسوم ملكى ، وأن تقوى القلوب لن يحققها دستور . والله يريد تقوى القلوب لاتقوى الألسن ولانفاق الكلمات. الله يريد أن يكون ضميركل منا هو حكومته.. ولا يريد أبدا أن تكون ضمائرنا مكبلة فى يد جبار ولو كان هذا الجبار حاكما اسلاميا ولو كان نبيا ، ألم يقل لنبيه:

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال له:

« وما أنت عليهم بجبار » .

فإذا كان الله لم يرد لنبيه أن يكون جبارا وهو الذى وصفه بأنه على خلق عظيم.. فكيف يطلق علينا باسم الاسلام جبارة من سواد البشر العاديين.

ليت أعضاء الجماعات الاسلامية فى كل مكان يكفون عن تطلعهم للسلطة ، ويكتفون بالدعوة الى الله على بصيرة.. والى تحبيب الناس فى الاسلام بأن يكونوا هم أنفسهم قدوة ومثالا وأسوة.

ولو فعلوا ذلك لاختلفت الصورة ولجنبوا أنفسهم الكثير من الفتن ولجنبوا الاسلام هذا الصراع الدامى الذى يهلك فيه الكل.

ولو أدرك الحكام أن صولجان الملك هو قبس من جهنم لما تسابقت اليه الأيدى.

ألم يعرض الله الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان؟ فماذا قال الله بحقه؟ قال:« إنه كان ظلوما جهولا ». فقد ظلم نفسه وجهل حدوده حينما تصور أنه قادر على حمل تلك

الامــانة.. وهى المسئوليــة والحكم فى الارض خليفة عن الله.. وهــو الجاهل بمقدرات يومه وغده.

أى عــروش من جهنم يجلس عليهـا أمثــال ميتران وجـون ميجــور وكلينتيون ويلتسين؟؟ حينما يطلقــون جميعــا يــد سفــاح الصرب ليدك سراييفو بالمدافع والصواريخ ويحيل سكانها الثلاثمائة ألف الى أكبر مقبرة فى التــاريخ.. ثم يضغطون على الأمم المتحــدة حتى لاتسمح للمسلمين بأى مدد من الســلاح يدافعــون به عن أنفسهم !! أى كــراسى من أصل الجحيم يجلس عليها هؤلاء الناس ليحكموا بــالموت والحياة وليوقعوا مراسيم الظلم والقهر والبؤس والعذاب على الملايين بغير ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله.

ويظن كل منهم ـــ وهو جاهل ـــ أنه بذلــك يعلى من شــأن مسيحيته أو ينصر قوميته وهــو يخونها ويخون إنسانيته ويخون ديانتــه ويخون ربه ويهلك نفســه.

« ولكن أكثر الناس لايعلمون »

بل هم كالأنعام بل هم أضل.

والحمد الله أننــا لانجلس على هذه الكــراسى.. ولانفكر أبــدا فى الجلوس عليها.. ولا فى الاقتراب من أهلهــا.. ولا فى مداهنــة أصحابها.. ليس تــواضعا ولكن وعيا وادراكا وخوفا والحمد لله.

وأرجو أن نظل مــدركين لعجزنا وقصــورنا طول الــوقت ، وأن يديم الله علينا رحمته تلك.. فمن أعظم نعم الله على العبد أن يعرفه بحدوده.

اعــرف عــدوك

بادرت أمريكا الى تهديد الصين بفرض العقــوبات الاقتصادية عليها اذا مضت فى صفقــة بيع الصــواريخ لباكستــان . وبــاكستــان لاتهدد أمريكــا ولاتهدد مصالحهــا وإنماهى مجرد دولة اسلاميــة تريــد أن تحمى نفسها من الجار الهنــدى .. ومذابح المسلمين على يــد السيخ والهندوس نقرأ عنها كل يوم . ولكنه محظور فى هذا الزمــان يأخوه على أى بلد اسـلامى أن يدافع عن نفسه أو يحمى بيته ولو تعرض للذبح والتشريد والإزاله .

وليبيا ضربت بالطائرات لمجرد شبهــة فى أنها تصنع سلاحا كيمياثيا ..

والعراق تضرب كل يوم بالأحذية بالإضافة الى الصواريخ لأن هناك شكوكا فى بقايا سلاح هنا وهناك .. وايران تهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور لأن هناك شائعات بأبحاث نوويه طى الكتمان .. واذا كان لابد من بيع شيء من فائض السلاح للخليج (لتشغيل المصانع الأمريكية وحل أزمة البطالة) فالتعليمات تقضى بأن تكون الأسلحة درجة ثالثه ومن فضلات المخازن التى مضى أوانها .. أما الحبيبة اسرائيل فلها رخصة مفتوحة بالعدوان المستمر على جاراتها وعلى دك القرى اللبنانية والفلسطينية بالقنابل كل يوم رغم قرارات الأمم المتحدة .. ومعها رخصة لتعلية ترساناتها النووية والكمياتية والميكروبية والتقليدية .. وأكثر من هذا تحول اليها أمريكا فوائض ترسانتها العسكرية لتخزينها فى أراضيها .. ثم أكثر من هذا تحاط علما بكل جديد وسرى من المخترعات المتطورة .. وبكل سرى وجديد فى استطلاعات الأقمار الصناعية الامريكية وأدوات الاستشعار عن قرب وعن بعد . ولا تفسير لهذا الكرم الحاتمى والتوسعة من الجانب الأمريكى للأخت اسرائيل فى مقابل الاذلال والتضييق والحصار لكل بلد اسلامى واباحة دم المسلمين لكل معتد الا أن يكون فى المخطط الأمريكى أعطاء المنطقة العربية (شقة تمليك) للعزيزة اسرائيل (المنطقة العربية كلها بمافيها من بشر وبقر)

●●●

ولا أظن أن أمريكا سوف تعرض نفسها لصراعات لاتنتهى مع ٤٧ دولة اسلامية على اتساع رقعة العالم فى محاولة لملاحقة أى انتفاضة اسلامية هنا وهناك . ولاشك أن المضى فى صناعة ٤٧ مشكلة مع ٤٧دولة اسلامية لأن هذه تشترى صواريخ وتلك تبتاع غواصات وتلكما تتساومان على امتلاك قاذفات قنابل .. سوف يؤدى الى صداع مزمن للعزيزة أمريكا وتبديد للوقت هى فى غنى عنه . ومن باب الاقتصاد البحت .. اقتصاد الوقت .. واقتصاد المال .. واقتصاد الجهد العصبى .. سوف تفكر أمريكا وربيبتها اسرائيل ومعهما المعسكر الاوروبى كله (وعداوته للاسلام ظهرت فى مذابح البوسنة) .. سوف يفكر الكل فى معالجة المشكلة من

رأسها بحل نهائى . ورأس الاسلام هو الكعبة المشرفة والحرم النبوى الشريف والمسجد الاقصى . وقطع الرأس وكسر عين المسلمين كلهم فى عملية واحدة سوف يوفر الكثير وينهى المشكلة ويخلص العالم من الصداع الاسلامى الذى يؤرقه (والصواريخ يمكن أن تطول من بعيد أى شىء) وهذا الكلام يوافق مزاج أهل التلمود وأحلام يهود البروتوكولات .والانتقام لما فعله النبى باليهود فى خيبرموجود فى كتبهم وهو منتهى أملهم . ترى هل يفكر الحكام فى المملكة العربية السعودية فى هذه الاحتمالات أم يرونها هذيانا؟!! مجرد سؤال .. ؟ !! والذين يقولون إن امريكا لايمكن أن تقامر بالبترول فى سبيل أى هدف .. اقول لهم : ومن قال أنها ستقامر بالبترول.. الا يقع بترول المنطقة كله الآن فى يدها وفى منطقة نفوذها محاطا بقواعدها وبوارجها وفى مجال اسطولها السادس ؟!! والذين يقولون أن امريكا والدول الأوربية لايمكن أن ترتكب أمثال تلك الحماقات .. أقول لهم .. وضرب سراييفو وشعبها الاعزل وتحويلها الى مقبرة على مشهد من العالم .. أليس حماقة ؟؟ ! وضرب العراق بالصواريخ على مؤامرة وهمية لم تحدث أليس حماقة .. وتهديدها بضربها مرة أخرى بالصواريخ اذا لم تضع الكاميرات هنا وهناك فى ارضها وبيتها أليس حماقة ورزالة ؟! ونزول امريكا على شاطىء الصومال فى بعثة احسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس سفالة .. واستباحة الاراضى اللبنانية لقنابل وطائرات اسرائيل أليس اجراما .. ألا نعيش فى عصر النذالة والاجرام قولا وفعلا ؟؟ !! الم يحاولوا حرق المسجد الاقصى من قبل ؟ ! مجرد سؤال للتفكير وتقليب وجهات النظر .. ؟ !! والاحتياط للبلاء قبل نزوله واجب ، وما فعله جيش أبرهة قبل أربعةعشر قرنا من الزمان.. ممكن أن يحدث مرةأخرى بأدوات اكثر بطشا ، وهناك صواريخ الآن ممكن أن تدمر بأكثر مماتفعل أفيال الحبشة. وهناك الآن من هم أكثر عداوة للاسلام من أبرهة وقومه . ويقول ربنا : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١١٨ .. آل عمران) وهو مانراه بالفعل .. ونقرؤه فى الصفحات الأولى من جرائد كل يوم .. اننا أمام غطرسة عجيبة وغرور بالقوة وزهو

بامتلاك الأسباب .. وأمام ازدراء مهين لشأن المسلمين واحتقار لديانتهم لايعرف حدودا وأمام علمانية غليظة صفيقة لاترى لله قدرا ولا للغيب دلالة .. وهي ملامح زمان جاهلي ردىء وطابع حضارة مادية متبجحة توجت على عرشها داعرة محترفة اسمها مادونا ورفعت على صاريتها العلم الأمريكي .. فهل دار الزمان دورته وأصبحنا على مشارف معركة الأحزاب مرة اخرى والمسلمون فى خندق .. والصورة جرى تكبيرها عن ايام النبوة مليون مرة بمقياس العصر ..؟!!

وقد تداعى علينا أهل الشرك وأهل الكفر بإيعاز من يهود ليستأصلوا شأفتنا فمن لنا بالريح العاصف والطير الأبابيل ؟!!

وهل يأتينا ربنا بمعجزة ..؟!!

وهل يجيء الله بجنوده إلا حينما نحتشد نحن بجنودنا ؟!!

اقول نحتشد فقط .. ونضع اليد فى اليد والقلب فى القلب ونتقارب ونتساند ونتماسك ونجمع كل مانملك من قوة ومال لنواجه به هذا الطوفان من البغضاء ونواجه الأزمة القادمة .. أزمة أن نكون أو لانكون . وذلك أضعف الجهاد

●●●

والجهاد يقترن دائما فى ذهن القراء بإعلان الحرب على اسرائيل وهو ماتتمناه إسرائيل وتحلم به وتحاول أن تستدرجنا اليه بكل الوسائل .

وقد رأينا كيف ردت على بضعة صواريخ كاتيوشا أطلقت عليها من الجنوب اللبناني بتدمير الجنوب اللبناني كله ودفع نصف مليون لبناني فى رحلة فرار الى الشمال وتفريغ ألوف الهكتارات من الأراضي من سكانها خلال سبعة أيام من الضرب المتصل (٣٥ ألف قذيفة دمرت ٧٥ مدينة وقرية) .

والشراسة والعنف والتحدى الذى اتسم به ذلك العدوان الفاجر.. كانت اسرائيل تقول به لنا جميعا : هلموا إلى.. هل من مبارز.. هل من رجل يتقدم..؟!!

ولا شك أن اسرائيل لا تريد أى سلام بل على العكس تريد الحرب

وتتعجل تلك الحرب ، لأن الزمن زمسانها والرياح تهب على هواهـا.. فالدول العربيـة منقسمة على نفسها لا تجتمع لها كلمـة والقواعد الأمـريكية تجثم على أراضيهـا والفقر والـديون والمشـاكل تجثم على أكثرهـا ، والدائن هـو أيضـا السيد الأمـريكي.. والعـراق تحت الحذاء الأمـريكي وليبيا مطـاردة ومطلوبـة للتحقيق وسوريا مهـددة بأنه لها مـاض في الارهـاب.. والمجتمع الدولي كلـه في صف اسرائيل.. والكل في جيب أمريكـا التي انفردت وحـدها بالعـالم تفعل به ما تشاء وقد اختصت اسرائيل وحـدها بالحب وبـالدعم المادي والمعنوي والعسكري وضمنت لها التفـوق في العتاد الحربي على كل الـدول العـربية مجتمعـة وضمنت لها جسـور تموين مفتـوحـة في جميع الأوقات.

وفي مثل تلك الحالة من عـدم التكافؤ تصبح أي حـرب نزهة مضمـونة بـالنسبـة لاسرائيل ،ولهذه الأسبـاب مجتمعـة تتمنى اسرائيل أن نبـدأهـا بعدوان.. أي عدوان ولو بضـعة صواريخ كاتيوشـا.

وفي الحقيقـة إن من يحارب اسرائيل الآن سـوف يحارب امـريكـا ذاتها وربما الأمم المتحدة معها.. ولهذا فالجهاد عندي له معنى آخر في هذا الزمن الـرديء.. أنه الصبر والمصـابـرة وبناء القـوة الـذاتيـة وتنمية الاقتصـاد واصلاح التعليم وبناء سد بشري في سينـاء بتعميرها وجمع الكلمة العربية فاذا لم تجتمع فيكفي أن تجتمـع سوريا ومصر فهـذا الثنائي هـو الكماشة التي كانت دائما قادرة على تغيير التاريخ.

وأول بند في القوة الـذاتية هو تطوير الصواريخ بأنـواعها ونظم الرادار المتنقل واستيراد الخبرة المطلوبة في هذه الأسلحة من جميع مظانها.

ثم الجهـاد الـدبلـومـاسي لنفتـح لنـا نـوافـذ على الصين وعلى الـدول الاسيوية.. والتنسيق مع أيران في المواجهة التي تستهدف الوطن الاسلامي كله.

ثم الجهاد الاعلامي لاحباط التآمر والفتن.

ثم الجهاد الأخلاقي واصلاح الحال مع الله وطلب المدد منه.

لقـد قـال نبينا العظيـم لمن جـاءه يبكي يـريـد أن يـذهب ليقـاتل مع المقـاتلين: ألك أم ؟

قال الرجال.. نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فجاهد فيها.. بهذا المعنى يتسع معنى الجهاد فيصبح الابن الذى يكافح ليطعم أمه ويخدمها ويرعاها فى شيخوختها مجاهداً، كالذى يخرج للقتال فى الغزوات.

بل إن جهاد النفس هو فى ديننا الجهاد الأكبر، وفى الحروب اختيار التوقيت هو أساس النصر.. والحكمة هى أداة الغلبة.

والوقت الآن ليس وقتنا والجهاد بالسلاح لم يأت أوانه.. ولكن لن يطول الانتظار فسوف يتغير اتجاه الرياح.

والذى بيده تصريف الرياح وهو ربنا تباركت أسماؤه سوف يغير اتجاهها.. فلن تظل أمريكا على القمة ولن يظل اقتصادها على القمة فأمريكا بناء عظيم ولكنه يتآكل من داخله وهى فى شيخوختها وليست فى صباها.. ودوام حالها أصبح من المحال.

وقد أرانا الله آياته فى روسيا التى أماتها وهى واقفة وعلى ظهرها قنابل تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات.

ورأيناها تزحف وتتسول ويحارب بعضها بعضا ويأكل بعضها بعضا.

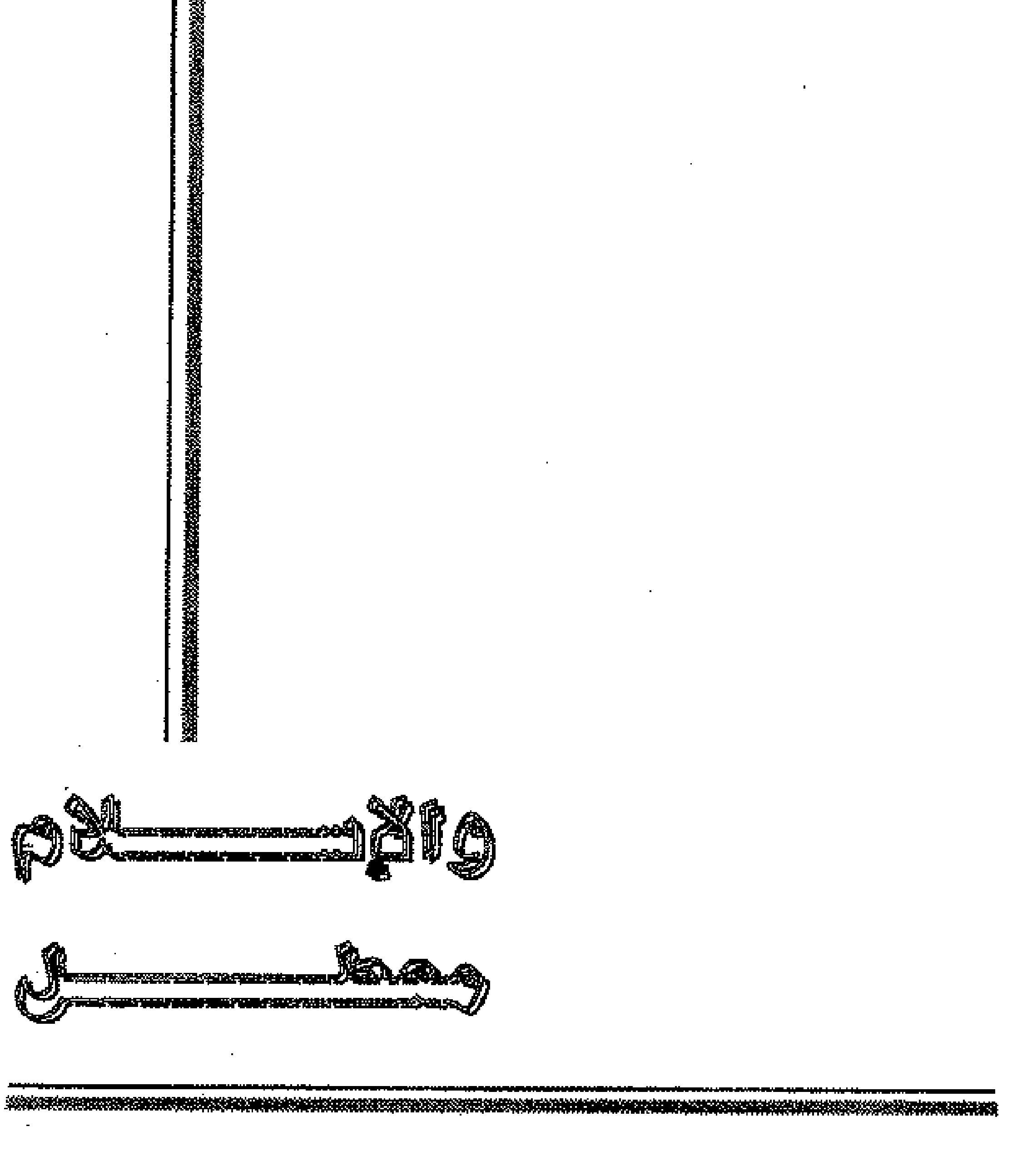
حدث كل هذا دون أن تطلق عليها رصاصة من عدو.

ان معنى الجهاد فى الاسلام واسع وعظيم.

فلنجاهد أولا فى أمنا مصر فإذا نجحنا جاهدنا فى الأم الأكبر.. الأمة العربية.. ثم الأمة الاسلامية..

وثقوا بالنصر.. ولكن النصر له سننه.. وله خطواته.. وسوف يجىء فى وقته.

فلنبدأ حربنا خطوة خطوة وكل خطوة بمواصفاتها.. وعلى مهلكم.. ولا تعطوا اسرائيل سلاما ولا حربا ولا سوقا شرق أوسطية ولا أمنا ولا أمانا ولا تنهوا مقاطعتكم لمنتجاتها.


والإسلام
معطل

لا وجه للمقارنة بين الصفقـة التى حققها السادات للفلسطينين فى اتفاق كامب ديفيد وبين الصفقة الضئيلـة التى ارتضاها الفلسطينييون لأنفسـهم فى اتفـاق غزة أريحا .. فى الأولى كـانت الأرض المحتلـة كلها لهم يحكمـونها حكما ذاتيا .. الضفـة والقطاع والقدس الشرقيـة ، وكان طـريقهم إلى اعلان دولتهم مفتوحـا .. واليوم تلقى اليهم اسرائيل بغزة التى ضاقت بمشـاكلها وبقريـة أريحا مع شروط مشددة .. لا للانتفاضـة .. لا للعنف .. ولا للكلام عن دولة فلسطينية ..ولا للكلام عن القدس .. فيوقع ياسر عرفات راضيا الى جوار توقيع رابين وهو فرح فخور ..

وبـالأمس رفضـوا صنيع الســادات واعتبروه خائنـا وامتـدت الأيـدى الفلسطينية لتقتل يـوسف السباعى لأنـه كان يمشى فى ركابـه .. ثم امتدت أيـد ضالـة مجرمة لتقتل الســادات .. وسقط البطل وهـالوا عليـة التراب .. ورقصوا فرحا لمقتله واليوم يعرفون مقداره .. .

وكـان السادات يفـاوض من مـركـز قوة ومن ذروة انتصــار .. أمـا هم فكانوا يفاوضون من حضيض انكســار صاحبهم صدام حسين ومن كارثة تمزق عربى وانفجـار أحقاد عربية عـربية لا آخر لها ، ومن هاويـة افلاس مادى ولم يكن ممكنا أن يحققوا أكثر من هذا الكسب الضئيل .

واليـوم لو انطلق الـرصاص الفلسطينى فسـوف يرد عليـه الرصـاص الفلسطينى بحكم الاتفـاق .. وسـوف يقـومـون بتصفيـة بعضهم البعض بالنيـابة عن العـدو الاسرائيلى فهم حـراس الأمن بحـكم الـوثيقـة التى وقعـوا عليها .

لقـد تلقوا درسـا تاريخيا .

ولا نبكي على اللبن المسكوب .. فما حدث قد حدث ونحن أبناء اليوم .. والخروج بشيء أفضل من الخروج بلا شيء .. وفلسطين أولا وأخيرا هي شأن فلسطيني .. وعسى أن يتفقوا على هذا القليل وتتحد كلمتهم وتلتقي منظماتهم .. وأول الغيث قطرة .. والهمم اذا اتحدت تصنع المستحيل .. ونحن معهم على ما أرادوا .

ولكن لكل مقام مقال .. وهناك متغيرات قد استجدت بهذا التوقيع .. واسرائيل باعترافها بمنظمة التحرير قد غيرت من استراتيجيتها وبدلت من خططها تماما .. واذا تم الاتفاق مع سوريا ولبنان والأردن بنفس السرعة والسهولة التي تم بها الاتفاق مع الفلسطينيين ، فإن اسرائيل تكون قد ألقت سلاحها مؤقتا .. وتكون خطتها للمستقبل قد أصبحت هيمنة اقتصادية ..

تطبيع فوري والغاء للمقاطعة .. ونشتري ونبيع للجميع وسوق شرق أوسطية والمال اليهودي والعلم اليهودي والاقتصاد اليهودي ، المتفوق في سباق حر مع المال العربي والعلم العربي والانتاج العربي .. والشاطر يكسب .. واذا لم نكن على مستوى اللعبة فالنتيجة معروفة .

فاذا أضفنا الى هذا أنشطة أخرى خفية تدبر من الآن .. بارونات المخدرات ينتقلون الى جنوب لبنان وأوراق الكوكا تستورد من أمريكا اللاتينية ليستخلص منها الكوكايين ويصنع « الكراك » القاتل .. والخشخاش يزرع ويستخلص منه الأفيون والمورفين ويصنع الهيروين .. يحدث كل هذا تحت الحماية الاسرائيلية .. والهدف هذه المرة هو اغراق مصر والسعودية والعراق بالمخدرات ، هذا مع مخطط آخر يجري منذ شهور هو ضرب السياحة والاستثمار في مصر بمسلسل التفجيرات ومسلسل حرق المصانع في العاشر من رمضان وكلها جرائم ذات هدف سياسي لإفقار مصر وتدمير قدرتها على المنافسة .

يحدث كل هذا خلف واجهة السلام والصداقة المتبادلة وتصريحات المودة وكامب ديفيد وغزة وأريحا وهذا هو نوع السلام والسوق الشرق أوسطية والتعاون الحر والانفتاح الذي نحن مقبلون عليه ، واللعبة ذات

الوجهين التى ستلعبها اسرائيل والمخابـرات الأمريكية فى المنطقة .. سلام فى الظاهر .. ومكائد وافسـاد فى الخفاء لإنهاك المنطقة واستنفاد طاقاتها .

هل تنتبـه جميع الأطراف العـربيـة وتشـترط فى جميع اتفاقـاتها تطهير المناطق تحت السيطرة الاسرائيلية والعـربية مـن مزارع المخـدرات ومن مصانع الهيروين والكوكايين .. ؟؟

وهل تفتح أعيننا على الـوجه الآخر من اللعبة .. جانـب الإفسـاد والمكائد والفتن والعمل من وراء الكواليس .. ؟؟

إن افتراض حسـن النية فى هـذا العالم أمر غير وارد .. واليهود كـانوا الى عهـد قريب أقليـة مضطهدة وفى مـواجهـة الأغلبية من حـولهم لم تكن لهم وسيلة للمنافسـة والغلبة سوى هـذه الأساليب الملتوية والمكائد الخفية التى اتقنوهـا وتفوقـوا فيها .. ومازال يهود اسرائيل أقليـة فى بحر من الأكثـرية العـربية .. ولن تتخلى اسرائيل عن مكـائدهـا واساليبهـا الخفية أبدا فهى وسيلتها المضمونة للغلبة فى مواجهة الكراهية التى تظن أنها تحاصرها ، إن تخزينها لترسـانة نوويـة من مئات القنابل الذريـة والصواريخ وترسـانة أخرى كيماوية وثـالثة ميكروبية يدل على سـوء نيتها ويشهد بأنها تفترض دائما أسوأ الفـروض .. وعلينا أن نفهم هذه العقلية ونتعـامل معها كما هى ولا نفترض صداقة وهمية أو محبة خيالية .

والنظام العـالمى الجديد هـو مسرح للظلم وحلبة للفـوضـى والاستغلال والانتهازية وأمـريكا ومن ورائها اسرائيل تريـدان لنفسيهما نصيب الأسد من الكعكة ولو هلك هذا العالم عن آخره .

فاذا كـان لابد لنا أن نلعب لعبة السـلام فلنلعبها بمواصفاتها العـالمية الأمريكية .. يد تصـافح واليد الأخـرى على المسدس ، فهكذا رأيناها فى أفلام رعـاة البقـر الأمريكيـة ، وهكـذا رأينـا مسلسلاتها تجرى أمـامنـا الآن فى البوسـنة والهرسك وفى الصـومال وفى جنوب افريقيـا وفى انجولا وفى ليبيريا وفى نيجيريـا وفى كشمير وفى بورمـا وفى العراق وفى كـردستان وفى جنـوب السودان وفى كل منطقة ملتهبة من العالم .

وعـالم النفس اليهودى فـرويد لـه فلسفة يقـولها فى كل كتبه : ان هـذا

العالم غـابة انت فيها .. آكل أو مأكـول .. ولا يوجد احتمال ثـالث .. فأختر أيهما تكون .

●●●

والاسلام فى هذه الغابة هو كلمة الله الـداعية الى المحبة والرحمة والرأفة والمروءة والنجدة والأمانة والعدل وكفالـة حرية الاختيار لكل مواطن ، وهو لايفرق بين جنس وجنس ، ولابين لـون ولون ولا يتفاضل عنـده الناس الا بالتقوى والخلق والعمل الصالح ..

والاسـلام يعلمنـا اننـا مخلـوقـون لحيـاة محدودة ثم نمـوت ونبعث ونحاسب .

وكذلـك تدعو جميـع الأديان السماوية الى نفس الـوصايـا ونفس القيم ونفس الأخلاق ونفس المبادىء ، ومنذ آدم والنـاس يعلمون انهم مخلوقون ليحيوا لآجال محدودة ثم يمـوتون ويبعثون ويحاسبون .. ونجـد مشاهد الحسـاب والميزان فى مقابر الفراعنة وأهراماتهم .. ومع ذلك فلا أحد يعتبر .. والغـابة مـازالت غـابة .. بل إن وحـوشـها يـزدادون تـوحشا ويصنعـون لأنفسهم مخالب ذرية وأذرعـا كيمائية وأرجـلا ميكروبيـة يبطشون بها .. ونرى فى البوسنة من يقتلون باسم الدين والدين من جرائمهم براء ..

ويسأل السـائلون دائما : ولماذا المسلمـون متخلفون وفى الذيل من دول العالم ولماذا هم أكثـر الدول تأخـرا وضعفا رغم كثـرتهم ورغم ثرواتهم ؟!

فأقول : لأنهم فهموا اسلامهم فهما خاطئـا .. فهموا الاسـلام على أنه تواكل واعتزال وزهد وسلبيـة وخضـوع وخنوع واسقاط للتـدبير ، فكل ما يحدث أمـامهم من ظلم فهـو قدر الله .. ولا يجوز الاعتراض على قـدر الله .. فهمسوا الاسـلام على أنه استسـلام للمخلـوقين ولقهـر الظروف ولظلم الطغـاة .. وأسمـوا كل ذلك قـدرا لايصح الخروج عليـه ، وأن الله هـو الفـاعل وليس للمخلوق فعل ولا عمل .. الا التسليم والرضى .

وآخرون منهم تجمـدوا على النصوص وتحجـروا على الألفاظ وتـوقفوا عند سلفيـة محدودة مقفلة داخل ظروفهـا وتاريخها فـدخلوا كهفا حيـاتيا باختيارهم وأصبحوا حفريات دينية .

والمسلمون أكثـر الناس تـلاوة لكتابهم تـرتيلا وتجويـدا ولكنهم قعود دائما وفى حـالة سكـون لا يتقدمـون .. يقرأون كتـابهم بعيون الموتى فـلا تطلق فيهم الآيـات قوة دافعـة للحركـة والعمل والبحث والاختراع .. مع أن القرآن كتاب حركة وعمل .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وفى كل آية أمـر بالسير والنظر والحركـة والتفكروالتـدبر والتأمل ، وفى الاسـلام ديناميكيةوايجابيـة وحض على العمل والسفر والسياحة فى الأرض والبحث العقلى .. فنـراهم يتركـون كل هـذا ويختارون الاعتـزال والخلـوة والانقطاع للتسـابيح والصلوات .. والصـلاة مطلوبـة والتسابيح مطلـوبة ولكن مطلوب بعدهـا أن ننطلق فى الأرض لنبتغى من فضـل الله .. ولقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فرسه غازيا يدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الافريقى ثم استمر حتى بلغ أقصـى الغـرب فلماذا لا نأخذ هذا المثال الحركى .. ولماذا لانرى فى كتابنا تلك القوة الدافعة التى شعر بها ذلك الـرجل السلفى الفطرى ، ومثلـه ابن خلـدون وابن بطوطـة .. بل ان الملاح الذى قـاد سفينة فاسكـو ديجاما الى الهنـد عبر رأس الرجاء الصـالح كان عربيامسلما .. والذين رسموا الخرائط الجغرافية الأولى للقارات كانوا علماء مسلمين مثل الادريسى والاصطخـرى والقـزوينى والبلخـى والمستـوفى والمسعودى وابن حوقل .. فلماذا لا نأخذ هذه المثل السلفية ؟ . ولماذا لانقف الا عند اللحية وتقصير الثوب والسـواك والأكل بالاصبع والسروال والنقاب الى آخر هذه الشكليات التى لاتقدم ولا تؤخر ، ولماذا هذا القعود والسكون والسلبيـة والرجعيـة فى دين يأمـر بـالحركة والعمـل والانطلاق فى أرجـاء الأرض ؟ ولماذا يذهب أصحـاب مذاهب التنـوير الى تنـوير آخر مـريب عن طـريق التشكيك والتغـريب والعلمانيـة .. ينتهى بنـا الى الخروج عن الملـة بالكلية .. ولماذا لاترى عيونهم التنوير الباطن بالفعل فى كل آية ؟.

والقرآن نفسه كتاب تنوير من أول آيـاته .. اقرأ باسم ربك الذى خلق ..

أمر صريح بالقراءة وطلب الاستنارة والاستدلال على طريق الخير باسم الرب الخالق الذى خلق .

لم يفهموا كل هذا وتعاموا عنه وطلبوا التنوير من ديكارت وهيوم وأوجست كونت .. وكان تنويرهم يبدأ دائما برفض الإسلام نفسه والتشكيك فيه وفتح الباب لغزو ثقافى غربى يأتى ومعه آلته الاستعمارية .. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسى وطه حسين وبقية الطائفة .

أما بقية المسلمين فقد استراحوا الى الكسل والتواكل والسلبية والجمود ولم يفهموا من القرآن الا ما تهوى نفوسهم العاجزة التى لا تريد أن تنهض لأى عمل .. وهكذا ضاعت حقيقة القرآن وجوهره من أيدى أهله ولم يتبق منه إلا حواشيه .

والحقيقة أن الاسلام ظل معطلا منذ مئات السنين ولم يدخل فى التنافس الحضارى الموجود .. الاسلام مبعد ومعتقل بين دفتى القرآن .. ومنذ الوثبة الأولى فى أيام النبى عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين تراجع الاسلام عن المنافسة وتقوقع فى المساجد والصوامع واختفى فى المراجع وانزوى فى قلوب القلة من العارفين .. وضرب الاستعمار حصاره حول الدول الاسلامية ودخلها غازيا ومخربا وناهبا ومشوها لكل ماهو اسلامى .. ومازال التخريب مستمرا .. وآخر حملاته هى مايفعلونه الآن بإلباس الأصولية الاسلامية ثوب الاجرام والارهاب وتقديم عتاة المجرمين على أنهم طلائع الأصوليين المسلمين .. وفى هذه الدوامة من خلط الأوراق وتزييف الحقائق تمد اسرائيل يدها فجأة لمصالحة عربية اسرائيلية ويبدأ عصر السلام العجيب ذو الوجهين ومن وراء اسرائيل قوة أمريكية هائلة تؤيدها ونظام عالمى مريب ينفرد بالسيطرة على العالم وينشر الفوضى لحسابها .

ولكن فوق اسرائيل وفوق أمريكا وفوق هذا التخطيط الماكر هناك رب العالمين الذى يستدرج الجميع ليوم معلوم ولمواجهة يديرها .. وهو الأمر الوحيد الذى لم يدخلوه فى حساباتهم . فالكومبيوتر عندهم ليس فيه خانة اسمها الله . ولكن هذا لايعفينا من الاسهام والعمل ، فنحن أسباب الله وأدواته وجنده ..

والخطوة الأولى المطلوبة .. هى ان نفهم .. وأن نكشف هذا التضليل وأن نزيح هـذا الركـام من التعمية .. وان نعرف مواطىء أقدامنا .. وان نعيش اسلامنـا كما عاشه الأوائل وكما هـو فى الحقيقة .. قـوة دافعة ، وعمل دائب وكفاح متصل واصلاح للأرض ، ودفع للمظالم وردع للشر ..

ورغم كل شي وحتى لـو كـان احتمال الصـدق وحسن النيـة فى عـرض المصـالحة الأخير لايزيـد على واحد فى الألف ، فعلينـا أن نتمسك بهذا الأمل الضعيف ولانرد اليـد الاسرائيلية التي تقدمـت بالسلام بل نتقـدم فى حذر ونرد المبـادرة الطيبة بأفضل منها ، فنحن مسلمون والسـلام ديننا .. والله لن يخذلنا مادمنا خداما مخلصين لكلمتـه .. ولن نكون البادئين بالغدر أبدا فالاسلام قيم ومبادىء وأخلاق .

●●●

ومن الواضـح أن اسرائيل قـد غيرت من سياستها وانتقلت بمقـدار مائة وثمانين درجة من أقصى اليسـار الى أقصى اليمين وتنازلت « مـؤقتا » عن اسرائيل الكبرى فى مقـابل اسرائيل كبرى من نـوع آخـر .. اسرائيل كبرى اقتصـاديا .. وبـدلا من عملقـة عسكرية تمتـد من النيل الى الفـرات وتثير العداوات والمنـازعات .. فإنها تفكـر الآن فى عملقة اقتصـادية تكتسح النيل والفرات وما وراء النيل والفرات وتبيع وتشترى وتوجه وتحكم سوق شرق أوسطية تتـاجر مع ٤٧ دولـة اسـلامية وتكـون لها بوابـة على السـوق الآسيويـة وبوابة أخـرى على السوق الأوربية وبوابـة ثالثة على افـريقيا .. ومن خلال هذه العملقة الاقتصـادية « وهى مؤهلة لها » تستطيع أن تسقط حكومات وتقيم حكومات وتفعل بالخريطة الجغرافية والخريطة السياسية ماتشاء .

والقنابل النوويـة والصواريخ الذرية والرؤوس الميكـروبية والكيمائية التى خزنتها فى ترسانتها كانت مجرد حماقة ، فهذه الأسلحة أصبحت كلها ممنوعة وعليها محـاذير دولية مشددة .

وأين ستلقى بقنابلها الذرية .. ؟؟

وأينما القت بها فى المحيط العـربى حـولها سـوف تـرتـد الاشعـاعـات النووية عليها فتهلكها ، وسوف ينتفض العالم كله محتجا على التلوث الذى

سوف يحدث فى البر والبحـر وفى المزروعات وفى المنتجات الغذائيـة وسوف تتحول فى عين الأسرة العالمية فى لحظة الى عدو الانسانية رقم واحد .

ان فكرة الغزو العسكرى واسرائيل الكبرى التـوراتية .. أصبحت حماقة وطيشا سياسيا غير وارد بـالنسبة للقـاموس السيـاسـى العالمى الحالى .. وبالتالى أصبح من الضرورى التنازل عن هذا الحلم أو الكابوس واستبداله بسيطرة من نوع آخر .. ولايوجد أفضل من السيطرة الاقتصادية ..

وروسيـا سقطت بهزيمـة اقتصـاديـة .. والامبراطـوريـة البريطـانيـة تراجعت الى آخر الصف بسبب ضمورها الاقتصـادى .

ولا توجد امبراطورية الآن تستطيع ان تقف امام ضربة اقتصادية .

إذن الهيمنة المطلوبة يمكن أن يحققها الاقتصاد وحده ..

ولكى تصل اسرائيل الى هذه العملقـة الاقتصادية لابـد أن تتصالح مع الكل وتبيـع للكـل وتشـترى للكل وتتسلل الى جميع الأسـواق وتدخـل الى جميع التجمعات .

ومن هنا كان لابد أن تبدأ من البداية وتحل عقدتها مع فلسطين وتعترف بما لم تكن تعترف به وتصافح عرفات وأبـو مازن وأبو نضال وأبو وليد .. الخ ...

وبحســاب الـورقة والقلم فإنها لن تخسر بهذه التنــازلات وانما سـوف تكسب قلوبا جديدة وأراضـى جديدة وأسواقا جديدة وهذا هو المهم .

وقد رأينا رابين يـركب الطائرة عائدا من امريكـا فيقف فى المغرب ليلتقى بالملك الحسن الثانى .. وغدا يذهب الى تونس .

وهناك كلام بعودة العلاقات الـدبلوماسية بين المغرب واسرائيل ثم بين تونس واسرائيل والبقية تأتى .

انها السياسة الجديدة .. التسلل الى القلوب للدخول الى الجيوب .

والعبقرية الاقتصـادية اليهوديـة شىء قديم ومعلوم وهم الذين صنعوا البنوك واخترعوا الفوائد الربوية .

هل سمعت عن بنك واحد يفتح أبوابـه يوم السـبت ؟ !! ان أجازة السبت هى الختم اليهودى والتوراتى على جميع البنوك .

نعم .. يـاسـادة .. اننـا مقبلـون على غـزو جـديـد .. اسمـه .. الغـزو الاقتصادي الاسرائيلي .. وأول أهدافه .. منطقتنا العربية .

ولن ينفع هذه المرة كفاح الشعارات ولا استراتيجية الهتافات ولا إسلام اللحى والجلابيب ولا نداءات التعصب . وانما المطلوب في هـذه المنافسة هو اسلام العلم وتشمير السواعد ومضاعفة الانتاج وتجويـد الصنعة واتقان قواعد اللعبة وفتح كل القنوات على جميع دول العالم .

ونبدأ من الآن .. فإنهم على الجانب الآخر يهرولون ويسابقون الزمن .

يد تمتد بالسلام والأخرى على الزناد

إسرائيل التى استطاعت أن تجند ثمانية عشر ألفا من الفلسطينيين ليعملوا كجواسيس وطابور خامس ضد إخوانهم وبلدهم.. ومن قبل ذلك جندت أمريكا وجندت البنتاجون وقامت اخيرا بابتزاز عشرين طائرة للقتال الليلى من أحدث منتجات الترسانة الأمريكية والتكنولوجيا المحظورة وبضع مليارات تحت حساب صفقة السلام التى لم تتم الا كلاما.. ومن قبل ذلك جندت الصحافة العالمية والاعلام ودور النشر والسينما والمسرح للدعاية لقضيتها وما زالت تبتز من المانيا مليارات الماركات تحت حساب التعويضات.

وقد حصلت اسرائيل أخيرا على السوبر كومبيوتر الذى سوف تستطيع به أن تلاحق أى صاروخ يطلق عليها وتدمره.

كل هذا وأكثر فى مقابل كلام ووعود بالسلام لم تف منها بشىء.. فما زالت حتى هذه اللحظة تقتل وتنسف البيوت وتدك بالطائرات سهل البقاع وجنوب لبنان.. لأن هناك جنديا اسرائيليا واحدا قتل فى إحدى المستوطنات.

والعرب على الجانب الآخر الذين مزقتهم الأحقاد والكراهية ، والذين عجزوا عن انشاء سوق عربية مشتركة وعجزوا عن الاتفاق على اى شىء.. تأتى اليوم اسرائيل لتدعوهم لسوق شرق أوسطية مشتركة فيتسابقون اليها لاهثين يسيل لعابهم.

شىء عجيب .. ومشهد أعجب.. الذئب استطاع أخيرا أن يجمع الحملان ويضعهم فى طبق واحد باختيارهم.. وهم يتسابقون الى احتلال اماكنهم على الشواية الاسرائيلية.. حدث كاريكاتيرى من الطراز الأول.

ويقولون إن امريكا تدفع التطبيع العربى وتمنّيه بالأحلام والامانى ومع

ذلك لانـرى أى شـواهـد لهذا السـلام المنتظـر.. لاشيء سـوى تمثيلية المصافحة التى تمت تحت الأضواء فى واشنطون بين عرفات ورابين.

ويكاد يكون المسلسل برمته نوعا من ألعاب الكمبيوتر.

وإذا كانت اسرائيل تريد السلام حقا فما حاجتها الى تكديس ترسانتها بالاسلحة والمقـاتلات الليلية والنهارية والمدافع والـدبابات رغم انها تطفح بالقنابل النوويـة والميكروبيـة والكيماوية التى تغنيهـا عن كل شيء.. ثم تحرص على دفع الصديق الامـريكى لحظر السـلاح على كل الدول العـربية وملاحقة أى شبهة أسلحة متطورة أو بحوث نووية أى أرض عربية.

وما الضمان عند العـرب من أن يخلف رابين زعيم ليكودى متشدد مثل شـامير أو قـائد شوفينى مثل ميلـوسوفتش يحلم بـاسرائيل الكبرى ويفعل بالأسلحة الاسرائيليـة المتراكمة مثل مافعل ميلوسـوفيتش بأسلحة الجيش اليـوغسـلافى فى إقامـة دولـة الصرب الكبرى على اكتـاف الجماجم والجثث والـدمـاء الاسـلاميـة.. ورابين من الآن يخطب ويـذيـع فى كل مكـان بأن الأصـوليـة الاسـلاميـة هى العـدو البَـاقى للحضـارة الغـربيـة وخصـم الديمقراطية اللـدود الذى يجب الخلاص منه.. وأن اسرائيل هى الدرع التى سوف تقى العالم مـن هذا الوباء الاسلامى.. وان التـاريخ قد وضـع فى عنق اسرائيل اداء هذه الرسالة الكبرى.

انـه يقولها من اليـوم وهـو الـرئيس الاسرائيلى المسالم.. فماذا سـوف يقول الرئيس الليكـودى الذى سوف يأتى بعده حينما يجد أنـه يعوم فوق ترسـانة من اسلحة الدمار الشـامل تمكنه من ان يفعل ما يشاء.

واسرائيل تقول رغما عن كل هذا السـلاح انها خائفة من السلام.. فماذا نقول نحن العرب العزل الضعاف المشتتين بالاحقاد والكراهية؟!

ان مايحدث أمامنا لا يطمئن أبدا.

وأغنيـة السـلام التى يهدهـدون بها مخاوفنا لاتبعث على النـوم بل على الأرق.

وقد قـال رابين منذ أيام.. انى أقـدم عرض السلام بيد ، واليـد الأخرى على زناد المسدس..

هل فهمتم.. وهل وصلتكم الرسالة؟.

وهل خطر لكم أن تسألوا رابين لماذا طلب من امريكا فى لقائه الأخير بكلينتون ٢٥٠ مليون دولار لإنشاء شبكة طرق لاعادة نشر قواته فى الأرض المحتلة.. هل نحن بصدد اعادة نشر القوات الاسرائيلية ، أم المبادرة بسحبها؟؟ هل نحن بصددالسلام أم بصدد التأهب لحرب جديدة ؟!

وهل خطر لكم أن تسألوا الرئيس الأمريكى ..

كيف وافق على هذا المطلب؟!

انى اكاد أرى رابين الذى يصافح بيده اليمنى ويده اليسرى على الزناد .اكاد أراه يضع يديه الاثنتين على الزناد .

هل تقرأون الأخبار كما أقرأها .. أم أنكم اخترتم النوم على معسول الكلام وآثرتم خداع النفس والرقص على مزامير السلام التى يعزفها مدرب الثعابين المحترف رابين ؟ ! .

الى متى يستمر الرقص على الحبال .

●●●

والاسلام موضوع فى خانة الإجرام..هكذا اختار له الماكرون تلك الخانة!!

وكانت اسرائيل أكثر تحديدا فقالت : الاسلام الاصولى ..هو العدو الحقيقى للديمقراطية .

وقد جعلت اسرائيل من نفسها الدرع الواقية للعالم من هذا الوباء .. وقال رابين : ان التاريخ وضع فى عنق اسرائيل مهمة التصدى لهذا الوباء الاسلامى وحمل أعباء هذه الرسالةالكبرى .

هل هذا كلام خطب للاستهلاك المحلى ؟ هل هو مزايدة للزعماء الليكوديين خصوم الأمس ..أم هى بالونات حمراء للتصدير والتهديد والتخويف ؟أم هى اجراس إنذار لإيران وباكستان وأفغانستان ولأى دولة شرق أوسطية تجازف برفع أى شعار اسلامى ..

هى كل هذا واكثر.

أقول أكثر لأن اسرائيل تبنى ترسانتها على هذا الاساس .. وامريكا تدعم تلك الترسانة وتعززها بناء على تلك الفرية .

والقول بأن الاسلام الاصولى هو الإجرام ، مثل القول بأن المسيحية الحقة هى ماتفعله طائفة الكلوكلوكس كلان من اشعال الحرائق والقتل والتخريب .

هى فرية والذين يروجون لها يعلمون أنها فرية ولكنهم يستخدمونها لتبرير حصارهم لكل صوت اسلامى وتنكيلهم بأى تحرك اسلامى فى أى مكان .. وأكثر الجرائم التى تحدث الآن وراءها أيد أسرائيلية وأموال أمريكية ومخابرات أجنبية ، وهم ينفقون على هذه الاكذوبة ليرسخوها فى الأذهان وليبرروا مخططاتهم.

وإلا فكيف يوصف قتل الأبرياء فى العدوان الأخير على رئيس الوزراء المصرى بأنه جهاد اسلامى؟! وكيف يعلن مدبرو هذا الاجرام بأنهم جماعة الجهاد الاسلامى.. وأين الجهاد هنا وأين الاسلام والجريمة موجهة ضد الاسلام الأصولى نفسه وضد مصر ولايمكن أن يقوم بها مسلمون.

والتقاط اسرائيل لهذا الفرية.. والزعم أمام العالم بأنها الدرع الواقية التى اختارها القدر لصد هذه البربرية الاسلامية والقضاء عليها.. هو أكثر من مجرد ثرثرة ميكروفونات.. بل هو خط مستقبلى واستراتيجية تساوم بها اسرائيل الحلفاء الغربيين لتبتز المزيد من المعونات والمزيد من السلاح والمزيد من التنازلات.. وتضمن بها الفيتو الجاهز أمام أى عدوان تقوم به.. وتضمن أن أى عقوبات تقررها الأمم المتحدة لن تدخل فى الباب السابع.. وهو ماحدث دائما.. ولا غرابة بعد ذلك فى أن تكون هناك أيد للموساد وللمخابرات الأمريكية فيما يجرى من تفجيرات وجرائم باسم الاسلام وباسم الجهاد الاسلامى.. والرئيس كلينتون فتح صدره لمقابلة ودية مع سلمان رشدى الكاتب الذى سب الاسلام وبصق فى وجوه المسلمين ، ولو طلب شيخ الازهر مقابلته لما ظفر بدقيقتين اثنتين من هذا الود الصافى .

وهذا يستدعى منا أن نبنى استراتيجيتنا على نفس الأساس فنصافح بيد واليد الاخرى على الزناد ونخطو معهم خطوة نحو السلام ، ونخطو خطوة موازية لزيادة كفاءتنا العسكرية ونتعامل بحذر مع الأيدى الاجرامية التى تصافحنا كل يوم.

وسوف تكلفنا هذه الاستراتيجية بأكثر ممـا فى خزائننا ولابد أن تفهم الدول العربية هذا الدور فتساعدنا فيه.

والذين يتخوفون من حرب صليبيـة يهودية قادمة لايتكلمون من فراغ فالاحتمال قائم ومشهود ولا يعمى عنه الا الذين يتعـامون عامدين ليوفروا على أنفسهم الأعبـاء الثقيلـة المكلفـة .فـالمنطقـة تسبح فى بحـر من الفتن والمؤامرات والسلاح يتراكم ودائما عند طرف واحد هو اسرائيل.

ولااظن أن السلام الوهمي سيدوم لأكثر من خمس أو ست سنوات على الأكثر.. ثم مـاتلبث أن تغرى العملقة العسكـرية وأهرامـات العتاد الحربى ومنصـات الصـواريـخ ومئات الطائرات المقاتلة الجاثمـة على الارض الزعيم المجنـون القادم بأن يشعل الفتيل ليبـدأ العد التنـازلى للنهايـة.. أو يتحقق الحلم الآخر السهل بأن ينهار العرب من داخلهم أكثر فأكثر ويفتقروا أكثر فأكثر ويختلفوا فيما بينهم اكثر فأكثر.

أقول هذا لأقرع أجراس الانذار للنائمين الذين لم يشبعوا نوما.

وأقـول للجـار الاسرائيلى: نعم الاسـلام دين مسـالم وديع متسـامح ، ولكنـه عند الضرورة وحينما يـؤخذ غيلـة وغدرا دين مقـاتل صلب المراس لايضع سلاحه الا منتصرا..

والمسلم يطلب الموت فى ساحـة الحق مثلما تحرصـون انتم على الحياة فى سـاحـة الباطل ، والله لم يطلب من المسلم المقـاتل أن يعد العـدة التى تكافىء تجهيز الخصـم ، ولكنـه قال :« وأعـدوا لهم ما استطعتم من قـوة» .. افعلوا اقصـى ما تستطيعون.. احشدوا اقصـى امكانـاتكم ولو كانت دون امكانات الخصوم ، فالاستطاعة هي الحد الاقصى المطلوب وما يزيد على ذلك يتكفل بـه الله بإمكانـاته التى بـلا حدود.. وذلك لأن بلـوغ اقصى المستطاع هـو برهـان الاخلاص.. وهو الشرط المطلوب ليأتى الله لنجدته.

هذا مـا يعلمنا إسلامنـا ودرعنا الحقـه التى لاتبيد وبهذا المنطق انتصر المسلمون وهم قلة على اكبر امبراطوريتين فى الماضـى.. الفرس والروم.

●●●

أعداؤنا يخافون من بعث هذه الروح.. وصحوة هذه العاصفة النائمة..

وهم لا يخافون من صحوة البراقع والجلاليب واللحى ولا يعبأون لبعث الشكليات والمظاهر.. بل ان بيوت الأزياء فى باريس تتنافس فى هذا المضمار فتبتكر الماكس والطويل والمجرجر والقفطان لتبيع للعرب.

وهم لايخافون من ثرواتنا البترولية مادامت تتحول الى قصور وترف ونعومة ، فهم يلتقون بهذه الثروات فى مصايف الريفيرا ونيس ومونت كارلو وهم يحصدون هذه الثروات على موائد القمار فى لاس فيجاس.

ولكنهم يخافون من رجال كالزوابع يحاربون تحت الجليد فى سراييفو ويتصدون للدبابات والمدافع بأسلحة قديمة وقنابل مولوتوف.. ويخافون من رجل مثل عزت بيجوفتش .. حليق يرتدى البدلة مثلهم ولكنه صلب كالفولاذ لايساوم ولا يتراجع ويرابط فى موقعة تحت وابل من الصواريخ والقذائف مع عصبة قليلة من الرجال آثروا الموت على الحياة واشتروا الآخرة بالدنيا.

هذه هى الروح التى يخافونها ويحسبون لها الف حساب.

وهم يخافون ذلك الكتاب الذى يتحدث بصوت الفطرة فيصل الى قلوب الناس.. ذلك القرآن العجيب الذى يحادثهم بالعقل والمنطق والبرهان ويكلمهم بلغة العلم وأسلوب العصر ويأتى بالجديد فى كل قضية وفى كل زمان.

ذلك الكتاب الذى ينتشر بقوة ذاتية فيه ويكسب الاتباع فى صمت ودونما جهد من دعاة أو متخصصين.

ورغم هزيمة المسلمين فى كل مكان ، ورغم تراجع صوتهم وخفوت نفيرهم.. فإن الاسلام يكسب اتباعا جددا كل يوم فى كل مكان.

هذه الظاهرة تحيرهم.

فهل يعود التاريخ الذى يمضى فى دوائر الى تكرار نفسه؟

وهل يرتفع صوت الاسلام من جديد رغم اصفرار شجرته وتساقط أوراقه.. هذا الهاجس يخيفهم ويريبهم.

والاسلام فى ذاته لا يهمهم.. ولكن الإسلام سوف يأتى ومعه الدنيا والسيادة.. والدنيا همهم والسيادة دينهم وديدنهم ولن يتنازلوا عنها باختيارهم.. وحول هذا يدور الصراع.. فهو صراع حول الأرض والسيادة.. ولكن الأديان والمبادىء فى الخلفية طول الوقت.. وقد دفعوا بإسرائيل وزرعوها فى الارض العربية وسلحوها بالقنابل الذرية والترسانة الكيماوية والميكروبية واداروا الحرب والسلام لحصار هذه الظاهرة الاسلامية وخنقها فى المهد.. وكانت السوق الشرق أوسطية آخر حبائل مكرهم ليضمنوا بقاء المسلمين رهائن للحاجة والتبعية الاقتصادية طول الوقت.. وأمطروا المنطقة بالغزو الثقافى الهابط من السماء ومن الأقمار الفضائية بكل صنوف الفنون المنحلة التى توهن الحزم وتشغل الشباب بالمثير والتافه من أمور الجنس.. وحاصروا المنطقة بالمؤامرات ولطخوا وجه الاسلام بالجرائم واشتروا الذمم هنا وهناك لتفجر القنابل وتقتل الأبرياء تحت مسميات اسلامية مشبوهة.. وتحت رحى هذا الصراع الدائر نعيش ونتقبل ما يجرى فى سلبية ونتعامل معه فى استسلام ونقف موقف المتفرج الذى يحاول أن يفهم وقد سيطرت علينا الدهشة والبلادة.

ومازلنا نحاول أن نفهم ونربط الظواهر بعضها ببعض لنكتشف الى اين تسير سفينتنا ، أو الى أين يسار بها.

ولكن الله من ورائهم محيط وهو رب الكون وصاحب السلطان الأوحد الذى يصرف الرياح ويحرك الزوابع ويطلق السيول ويفجر الزلازل ويوقظ الموتى من القبور ويبعث العزائم فى القلوب ويجعل المستحيل سهلا والصعب هينا.. وبالله نؤمن وبه نستعين.

●●●

يتصور حكام الدنيا الأقوياء أنه لا منافس لهم وأن حكمهم نافذ ولا مبدل له ولا مهرب منه ، والحقيقة أن الفرد منا تتجاذبه أكثر من حكومة دون أن يدرى.. بل هو يسبح دون أن يعلم فى عالم من الحكومات الخفية.

الشيطان وذريته حكومة خفية توسوس له بالشر وتورده المهالك ، والملائكة الحافظون حكومة أخرى تسهر عليه وتحفظه وتلهمه بالخير

ومافيا المخدرات والفساد والرشاوى حكومة أخرى تخرب وتدمر كل ما يبنيه العاملون الشرفاء.

والاسكندر الاكبر قتلته بعوضة ، كان جلاده طفيل اسمه الملاريا لاتراه العين.

والفيروسات حكومات عجيبة لاترى حتى بالمجاهر القوية ، وأحد فرسانها قتل عشرين مليون ضحية فى وباء الانفلونزا سنة ١٩١٩ (أكثر من مائة ضعف ما قتلته قنبلة هيروشيما الذرية) وعطسة واحدة اذا فاجأت عجوزا ضعيف العضلات يمكن أن تصيبه بانزلاق فى غضاريف الرقبة يؤدى الى شلل رباعى..

أما مسبب العطسة فقد تكون ذرة تراب أو هباءة لا شأن لها ولا وزن تسللت الى خياشيمه فى الوقت الضائع .

والملأ الأعلى وملائكة التصريف وملائكة التدبير وملائكة الانتقام والملائكة الكاتبون حكومة عليا تعمل بأمر الله مالك الملك والملكوت.

وقوم ثمود وقوم صالح وقوم لوط دمرتهم الصيحة.. صيحة ملك الانتقام فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين حتى أدركهم الموت.. وقوم عاد دمرتهم الريح الصرصر العاتية.

وإرادة الله فوق كل الحكومات الظاهرة والخفية العالية والدنية.. لاترد أحكامها ولا تستأنف.. وكل الحكومات تعمل بأذنه وتفويضه.

يقول الملائكة لابراهيم فى القرآن حينما طلب الرحمة لقوم لوط : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك.. وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » (٧٦ـ هود).

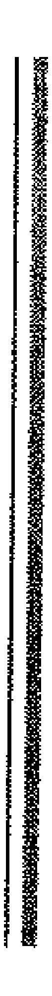
فالله سبحانه وتعالى هو الحكومة الوحيدة التى بلا ضد وبلا ند وبلا مثيل وبلا شبيه وبلا معقب.. وكل حكوماتنا تعمل من باطن حكومته..وكل الجبارين فى الأرض جنوده ينفذون غضبه وسخطه من حيث لا يعلمون ، وكل الرحماء ينفذون رحمته من حيث يظنون أنهم هم الرحماء.

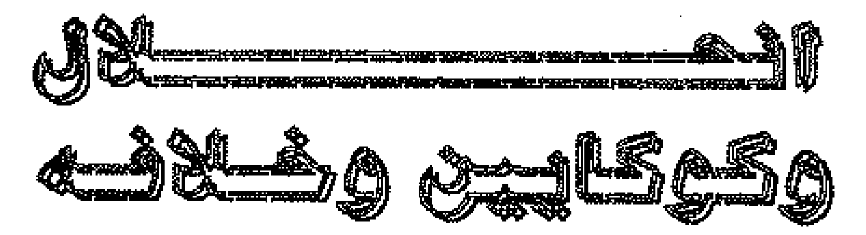
ولو كشف للأنسان الغطاء وعاين الحقيقة لتمزق رعبا ولتلاشى خوفا ولانكمش وعاد كما بدأ نقطة من ماء مهين.. ولكن الله ستر عنا هذه الغيوب وأسدل عليها حجاب لطفه حتى يتم الابتلاء والامتحان وحتى يخرج

بحكمته ما نكتم في نفوسنا وحتى يظهر مافينا من أضغان وحتى يتبين لكل منا حقيقته.. وأكثر من هذا شاءت حكمته أن يعطي كلا منا حكما في دائرته ويهبه حرية في مجاله ويمد له في الأجل ويفسح له في الفعل ليبني ويعمر أو يقتل ويدمر.

وكل منا حكومة مؤقتة شاء أم ابى.. وكل منا مبتلى.. وكل منا سوف يستدعى في أوانه وفي ميقاته.

والسعيد منا هو الذى يعلم هذا يقينا.. ويطلب من الله التوفيق الى الخير والسداد في الأمر.. والناجون هم أهل الخوف والخشية.. الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وتذكروا من هو رب العالمين في عظمته وجلاله وسطوته.. ومن هم في دونيتهم وغرورهم.




الفصل الأول
وكوكايين وخلافه

المسلسل الأمريكي .. الجرىء والجميلات .. هذه السهرة البريئة التى يتجمع لـرؤيتها الملايين كل ليلة .. ليس فيها أى صفه مـن صفات البراءة فموكب الجميلات فى هذا المسلسل يتنافس فى الانحلال وفى فعل كل شىء .. وجرعـات الانحلال تقدم الى المشـاهد تباعـا فى عبوات من الزينـة والبهرج ليبتلعها دون مقـاومة وهـو مسترخ فى فراشــه .. والبطء والإمـلال يعملان كمخدر موضعى لينام ضمير المشاهد وهـو يتجرع هذه الوجبة المسائية .. والتكـرار والاعـادة يختمان على القلوب كلما أفـاقت ويـذكـران النعين كلما نسيت .

وليس فى المسلسل فن رفيع ولاقيمه غـالية ولامعنى نبيل .. وانما كل ما هنالـك شهوات ومثيرات تأخـذ با لمشاهـدين الى أسفل ، الى بـدروم الغرائز والى حضيض الحواس . والـذى أحبـوا هــذا المسلسل .. تعلقـوا بـه تعلق المدخن بـالسجارة والمدمن بـالصنف، والمنكرات كلهـا والرذائل جميعهـا تجرى فى هذا المسلسل أمام المشـاهد فى بساطه جرى العـادةوالأمر الواقع الذى لاغرابة فيه ولااعتراض عليه فيخرج المشاهد بمعنى ثابت هو أن هذه هى الحياة المثلى عند الناس الأكابر ، وأن العفة والطهارة والفضيلة والوفاء والاخـلاص كلام عفى عليه الـزمن ، وأن الأخلاق عـلامــة تخلف وبقايـا رجعيـة والشعـار المستمـر طـوال المسلسل .. انـه لا أخـلاق .. ولا حـرج ولامانع فى عمل أى شىء .. عـانق وانكح مادامت تسمح .. لاخيانـة هناك فى أن تخطف زوجة أخيك أو ترى زوجتك فى فراشه .. فهذه أمور طبيعية .

وفى الحلقـات القـادمة سـوف تكتشف بطـلة المسلسل أنها حـامل من أبيها .. هكذا فى بسـاطة شديدة .. وماذا فى ذلك ؟ . ألم تذكر التوراة أن بنات

النبي لوط سقين أبيهن خمرا حتي ثمل وضاجعنه لينجبن أبناء كما تفعل كل النساء .. (وهو بعض ماكتبه اليهود بأيديهم وأضافوه الى توراة موسى) وهم مازالوا يكتبون ويزيفون ويفسدون وصاحبنا كاتب المسلسل وضع كومة من القاذورات الخلقية فى كرنفال من الزينة وفى بوتقة من عروض الأزياء الجذابة ومحفل من الجميلات .. وربات البيوت يتابعن فى بلاهة تلك العروض ويبتلعن مافيها .

ومانراه منذ شهور هو جرعة معدة بتفكير وتدبير ومجهزة لإغراق وافساد وتفكيك بنائنا الاجتماعي ونحن نشتريها بأموال دافعى الضرائب وندخلها الى بيوتنا اختيارا ونتجمع كل ليلة لنمضغ سمومها .

والذى يظنون أنهم بتقديم هذا المسلسل سوف يحدون من غلو الموجه الدينية هم على خطأ .. فانهم سوف يستفزونها .. ثم أن الموضوع ليس موضوع الدين ولكنه موضوع التقاليد والاعراف والبناء العائلى والأسرى والاجتماعي .. واذا انهدم البنـاء الأسرى والاجتماعى انهدم كل شيء وكاتب المسلسل يهدم أشرف ماورثناه .. فى بساطة .. وهو يبتسم .. ثم هو مستمر كل ليلة فى الهدم وهويبتسم .. ونحن نتفرج ونبتسم فى براءة حيث لابراءة .. ونستمر فى الفرجة لمجرد قتل الوقت .. ونقتل أنفسنا مع قتل وقتنا . والمسلسل مستمر لألف حلقة باقية ولعدة سنوات رغم ماكُتب ونشر من آراء الصفوة والنخبة فى نقده وهو أمر عجيب .. وهو يدل على أن هناك حالة اغماء عام .. وانه لا أحد يقرأ لأحد .. ولا أحد يفكر فى صالح أحد وان الكل ماض فى قتل الوقت .. وقتل نفسه .

ولاشك أن بين الوارد من الانتاج الغربى الوفير هناك الكثير مما هو أفضل .. هناك المسلسلات العلمية وهناك المسلسلات التاريخية .. وهناك المادة الوثائقية .. وهناك انتاجنا الفنى وليس كله رديئا .

ونحن متفقون ولاشك على أهمية وظيفة الترفيه التى يقدمها التليفزيون ولكن بإحياء الوقت وليس بقتل الوقت، ومتفقون على أن الترفيه الأمثل هو الترفيه الذى تحيا به القلوب وليس الترفيه الذى تموت به القلوب .. ومتفقون على أن التليفزيون جهاز خطير يمكن أن يصنع الرأى العام

ويمكن ان يضلله ويمكن أن يرفع أذواق النـاس ويمكن أن يهبط بها ولهذا يجب أن يكون مكـانه أمـام الجماهير وليس خلفها يقـودها ولا تقـوده هو المنبر الفني الـوحيد الذى لايخضع لجمهـور الشباك ولايلتفت الى مطـالب الشباك .. ولايصح أن يستمر فيه مسلسل لمجرد أن الجمهور عاوز كده .

ولقـد عشنـا مسلسـلات دلاس وفـالكـون كـريست ونـوتس لانـدنج والجرىء والجميلة وكلهـا تعزف على نغمـة واحـدة هى انحـلال المجتمع الأمريكـي وغرقه فى مستنقع الجنـس والمخدرات والجريمة.. مـع تفاوت .. فقد رأينا فى دالاس فنا وحبكة وحـرفة بينما كان الجرىء والجميلة أى كلام .. ولكن الكل كـان يعـزف تنويعـات من نفس المقـام النغمى الهابط .. ومن حقنا ان نطلب فتح نـوافذ اعلامنـا العربى على هواء نقى .. نـريد أن نتنفس فنوننا أخـرى نقية .. شبابنا فى حاجة الى قيم ومثل تعينـه على المجالدة التى يعيشـها .. وقد شبع حتى التخمة من هذا المستنقع الأمريكى العفن .

ان التليفزيـون الأمريكى والسينما الأمـريكية لم تعـد تعبر عن حضـارة شـابـة وانما أصبحت تعبيرا صارخـا عن حضـارة عجـوز تتفسخ وتلفظ انفاسـها .

ان نجـوم الـذروة فى أمـريكـا الآن هم شـوارزنجـر بطل العنف المطلق ومادونـا بطلة الجنس الفاحش ومـايكل جاكسون رمـز التخنث والشذوذ والعبث .. وهؤلاء هم النجـوم الذين يتربعـون على القمة .. فهل يقـدم هؤلاء فنا أم يقدمون انحرافا .

وأمريكا هى الآن تكنولوجيا وعضلات ولكن لاشىء آخر ..

وعلينا أن نبحث عن منافذ فنية أخرى نأخذ منها ونتلقى عنها .

اننـا جميعـا سـوف نُسأل عما نضع فى هـذه الشـاشـة الصغيرة التى يتجمع حولها ملايين المشاهدين .

ان الكلمـة أمانـة .. ولم تعد الصحـافة هى الـوعاء الأول للكلمـة وإنما أصبح الـوعاء الأول هـو التليفزيـون والشـاشة الصغيرة التى تطل منهـا الكلمـة مجسمة وملـونـة ومشخصة وأحيـانـا معـزوفة وملحنـة فى نفس الـوقت.. ثم بعـد مسافـة طـويلـة تأتى الصحافـة .. ثم أخيرا الكتـاب . إن

التليفزيون الذى تصدر كل وسائل الاعلام وأوشك أن يكون فى مقام نبى هذا العصر .. تحول فى دول كثيرة إلى مسيخ دجال هذا الزمان.. فهو القناة الأولى للسلطة وهو البوق الرسمى للحزب الحاكم ثم هو لمن يدفع أكثر من طلاب الاعلانات وما يبقى من وقته يكون للترفيه وقتل الوقت .. وأحيانا لتضليل المشاهد وحجبه بالكلية عما يجرى حوله .. هكذا كان الحال إلى وقت قريب .. ولكننا دخلنا اليوم فى مرحلة إعلامية جديدة وخطيرة هتكت فيها الحجب وهَجمت محطات البث التليفزيونى من الأطباق والأقمار الصناعية لتقذف بالحقائق فى وجه الجميع ولتقدم ألوانا من الفن أفضل وأرقى وأحيانا أسوأ وأفحش.. وسوف يتطلب هذا التنافس الشرس من الكل إعادة النظر وتجويد البضاعة وعدم إخفاء الحقائق .. ولهذا كانت وقفتنا الطويلة اليوم فى هذا البند .. بند تجويد البضاعة وحسن الانتقاء .. سواء كانت البضاعة محلية أو مستوردة .

وطلب آخر هو ختام البرامج فى الساعة الثانية عشرة على الأكثر وتوفير المال وتوفير الكهرباء وتوفير طاقة المشاهدين لينأموا مبكرا وليصحوا مبكرا خاصة فى الريف العزيز الذى يصحو فيه الفلاح مع الشمس ويهرول التلميذ لمدرسته فى الثامنة وينهض العامل لمصنعه فى النجمة .

والفلاح الجديد الذى يسهر الآن مع البرامج للرابعة صباحا وينام إلى الظهر لن يكون فلاحا .

ولن يكون العامل عاملا ولا التلميذ تلميذا وسوف ينام معهم الإنتاج وينام العمل وينام التعليم وتتوقف عجلة الحياة النافعة .

وعشاق السهر عندهم الأطباق والأقمار الصناعية ينتقون منها ما يريدون .

وذوو الأعصاب الخربة الذين لا يواتيهم نوم لا يدخلون فى خطة البرامج العامة وإنما يدخلون فى اختصاص وزارة الصحة .

وفى الماضى كان أبناؤنا وأمهاتنا هم الذين ينشئوننا ويربون فينا عاداتنا وسلوكياتنا .. ولكن فى هذا الزمان العجيب أصبح التليفزيون ووسائل الاعلام هى الأب والأم وهى التى تقوم بتربيتنا وهى التى تغرس

فينا عاداتنا الحسنة والسيئة .. وهى مسئوليات جديدة تقع على القائمين على هذه الأجهزة .

والمهمة شاقة والحمل كبير .. وقلبى مع وزير الاعلام ومع لجان وضع البرامج .

وأحمد الله على أنى لست وزيرا للاعلام .

العدل يا وزير العدل

هناك ٣٥ حكما بالاعدام على تجار مخدرات فى أدراج مكتب وزير العدل وهى أحكام قضائية على جرائم ثابتة ضبطت فيها المخدرات وضبط المجرمون متلبسين .. ومع ذلك لم ينفذ حكم واحد من هذه الأحكام .

وفى عام ١٩٩٢ وحده بلغت قيمة المضبوطات أكثر من ثلاثين مليون جنيه .

وكنا نظن أن عدم تنفيذ الأحكام كان بسبب عدم تصديق رئيس الجمهورية عليها ، ثم علمنا أن تصديق رئيس الجمهورية مثله مثل رأى المفتى .. استشارى .. وأن رئيس الجمهورية إن لم يصدق على الحكم خلال خمسة عشر يوما يعتبر موافقا رغم عدم مصادقته .. ولكن الضرورى بحسب نص القانون هو أن يصدر وزير العدل أمره بالتنفيذ .

والسؤال هو : لماذا لم تتحرك يد وزير العدل لإصدار الأمر بإعدام هؤلاء المجرمين ؟ ولماذا ظلت هذه الأحكام فى إدراج مكتبه طوال هذا الوقت .. بينما تصدر أوامر بسرعة لإعدام أى مجرم قتل فردا أو أفرادا .

وهل تاجر المخدرات الذى يقتل شعبا ويدمر جيلا جريمته أهون من قاتل الفرد فى نظر القانون وفى نظر السيد وزير العدل .

وإذا استقر الأمر على أن عقاب هؤلاء المجرمين الذين يدمرون شبابنا ويحطمون أولادنا بالمخدرات سيكون عقابا شفويا وإعداما صوريا على الورق فقط ثم عدة سنوات فى سجن خمس نجوم .. فأى ردع سوف يردعهم ويردع غيرهم عن المضى فى تخريب بلدنا وهدم مستقبلنا .. ؟ !!

ولماذا يخصهم السيد وزير العدل بهذه المعاملة المتميزة .

مجرد سؤال .. ؟ !

وإذا كان السبب هو بطء التقاضي وسلحفائية التنفيذ .. فلماذا لا تنظر هذه القضايا أمام محاكم عسكرية شأنها شأن جرائم الارهاب .. وهل كارثة المخدرات أقل شأنا من كارثة الارهاب .. وهل الحزم فيها غير مطلوب.. وهل قتل مسئول حكومي أخطر من قتل أمة .

أم أن لبارونا ت المخدرات الذين يعملون من وراء الستار .. قدم فوق القانون وفوق المحاسبة .

نريد أن نطمئن أن بلادنا لن تتحول إلى مسرح للمافيا مثل إيطاليا وكولمبيا وبوليفيا والمكسيك ، وأننا لن نرى فى يوم من الأيام أمثال «جسوليانو أماتو» رئيس وزراء إيطاليا الذى وقف يشد شعره أمام التليفزيون وهو يهتف : هناك أربعة آلاف وخمسمائة مدير ووزير ثبت أن لهم علاقات بالمافيا .. هذه ليست إيطاليا .. هذه غابة .

لا نريد أن نعيش اليوم الذى يحدث هذا فى مصر .. ولفتة أخرى إلى سيل المخدرات الذى لا ينقطع والذى يدخل مصر من طريق سيناء وآخر حادث تهريب نشرته الأخبار فى صفحتها الأولى كان عن ضبط أربعمائة كيلوجرام من الحشيش فى منطقة رأس سدر .

وكل المخدرات تأتي الآن من سيناء من عند الحبايب الجدد .. بارونات الحشيش والأفيون والكوكايين الذين يزرعون ويصنعون المخدرات ويروجونها تحت الحماية الاسرائيلية وتحت علم الصداقة والوفاق فى كامب ديفيد .

وهذ بعض ضرائب الصداقة الجديدة وبعض نفقات التطبيع .

وعــن الديوقراطيـــة

أعلن كلينتون تأييده لبوريس يلتسين مباركا الحصار الذى ضربه على البرلمان .. كما فعلت نفس الشيء بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا .. الكل وقف مع يلتسين ضد البرلمان مؤيدين ما يفعله من تهديد وحصار النواب المائة المسجونين والمقطوع عنهم الماء والكهرباء والطعام والاتصالات بكل أنواعها ثم حرق البرلمان ومصادرة الصحف .

وعجبت كيف تخلت كل تلك الدول الديمقراطية عن حماسها

للـديمقـراطية فجأة وأيـدت القمع الـذى يمارسـه يلتسين لنواب بـرلمانـه وصحافة بلده وكيف نسيت مبادئها تماما وانحازت مصالحها .

هذه الميكيافيللية السياسية والحربائية الأخلاقية التى تتلون وتتبدل بلا مبدأ سوى المصلحة الوقتية ، وهذه الذمة المطاطة التى تقول بالشيء وتفعل ضده فى نفس اللحظة .. فهم يعاقبون الصين على ما فعلته فى حصار الثورة الشعبية فى ميدان « تيان من » ويقولون أن هذا سلوك شائن وضد الديمقراطية ثم يباركون فى نفس اللحظة ما يفعهل يلتسين من حصار للبرلمان وتجويع وتهديد لنوابه وإنذاره باقتحام المبنى بقوة السلاح !! أين الديمقراطية التى كانوا يتشدقون بها إذن .. وأين المبدأ ؟!

ونفس الشيء مع حقوق الإنسان .. فهم أسود الغابة ضد العراق وليبيا وسوريا لشبهة مخالفات هنا وهناك لحقوق الإنسان .. وهم عمى صم بكم عن الإجرام والاغتصاب والاعتقال والتعذيب الذى يجرى يوميا لمسلمى البوسنة ، وأكثر من ذلك يسلحون الباغى ويعينونه على بغيه بينما يحظرون السلاح على الضحية .

ونفس الشيء مع أسلحة الدمار الشامل فهى محرمة ومحظورة على كل الـدول العـربيـة وهى حـلال على إسرائيل ومسمـوح بتكـديسهـا ومضاعفتها وتنويعها من كل صنف ولون .

وهـؤلاء هم أرباب الحقوق الذين يحرسون الحقوق وتضيع معهم الحقوق فى عالم آخر زمن .

والمستقبل

والغـزو الثقـافى الـذى نعيش فيـه وسيطـرة نماذج الفن الهابط ومسلسلات الترفيه وقتل الوقت التى تغـزو أعلامنـا والتى تكلمنا عنهـا ليست وحدها التى تحتل الساحة الفنية .. فهناك غزو آخـر يشعر به رواد المعرض والرسامون الشبان والمتقدمون لجوائز البينالى كل عام هو موجة التجريد والتلطيش بالفرشاة والتنقيط والتكعيب والتهبيب والرسم العابث وقاعات العرض التى تمتلىء بالزبالة والحديد الخردة وأكوام الزلط ثم تفوز بالجوائز وشهادات التقدير .. والذى فتح الأبواب لهذه الزبالة

وأشاد بهذا العبث واحتفى بهذا القيء الفني قد ساهم بلاشك في إفساد الأذواق وفي انحراف جيل فني بأسره .. وهذه مسئولية وزارة الثقافة بالدرجة الأولى .

وإذا كان لهذا البلد مستقبل فأول شروط هذا المستقبل هو تصحيح المسار واختيار كوادر جديدة فيها أصالة ومصرية وولاء تاريخي وانتماء وطني لتحرس البوابات التي يدخل منها هذا الطوفان من الإفساد الفني والثقافي ، ومصر التي خرج منها النحت الفرعوني والرسوم الجدارية المذهلة والتي نبت منها أمثال مختار ومحمود سعيد وبيكار وصبري راغب وآدم حنين وعبد العزيز صعب ورخا وصاروخان ومصطفى حسين وصلاح جاهين والكوكبة الراشدة من رواد الرسم والنحت والكاريكاتير هي كنز عزيز لابد من حراسته من هذا الغزو العبثي الذي يريد أن يهيل التراب على تاريخنا وتراثنا .

والتحديات المقبلة التي تنتظرنا لن تكتفي بالغزو الثقافي وإنما هناك الغزو الاقتصادي الاسرائيلي الوشيك الذي ينتظر التطبيع وانهيار السدود والقيود وفتح السوق الشرق أوسطية للأموال الصهيونية والسلع الصهيونية والمشاريع الصهيونية .

والذين يشعرون بالخوف من هذا المستقبل وينظرون في تشاؤم إلى امكانياتنا المحدودة في مواجهة هذا الطوفان .. أقول لهم : إن مصر لم تكن قط في أي يوم من الأيام محدودة الامكانيات في المواهب .

ومنذ ستين سنة حينما كانت مصر في تطبيع عادي مع اليهود وكانت أبوابها مفتوحة لأموال الصهاينة ومشروعاتهم .. وكانت في القاهرة محلات صيدناوي وبنزايون وداود عدس وعمالقة التجار اليهود وبنوكهم .. في ذلك الوقت نبتت موهبة اسمها طلعت حرب بموهبته الفذة الخلاقة واستطاع أن يكتسح كل هذا الغزو الاقتصادي وأنشأ بنك مصر وشركاته المتعددة وأقام قاعدة اقتصادية جبارة تراجعت أمامها كل تلك الأموال الأجنبية واستطاع المال المصري والاقتصاد المصري أن يثبت وجوده .

والمناخ الذي أنبت طلعت حرب في ذلك الوقت كان نفس المناخ الذي أنبت العقاد وطه حسين توفيق الحكيم وفكري أباظة والتابعي ومصطفى أمين وباقي العمالقة .

كانت ديمقـراطية وحرية ذلك الـزمان هـي التي فتحت السبيل لكل تلك المواهب .

والتحدى الحقيقى الذى يـواجهنا الآن ليس إسرائيل ولا اليهود .. وإنما المناخ الاجتماعى الفاسد وبقايا الاقتصاد الشمولى الفاشل والقطاع الخاسر وجيش المرتزقة من ملايين الموظفين الكسالى والحاقدين الـذين يتفننون فى وضع المعوقـات أمام أى خطوة إلى الامام .. ويقفـون بأيد ممدودة لجبـاية الرشاوى .. هـذه البيروقراطيـة العفنة هى التى تكبل كل حـركة .. وتسـد الطريق أمام أى موهبة .

والكلام عن إصلاح تلك البيروقراطية والـوعود بإزالتها .. مازالت مجرد وعود وشعارات وكلام جرائد .. لا نرى لـه أثراً فى الواقع الثقيل الذى نرزح تحته .

وهذه البيروقراطيـة لا تكتفى بتكبيل أيدى كل موهبة نـاجحة .. ولكنها أيضـا تلد كل يوم جيوشـا من المنافقين والمتملقين وحملة المباخر والمسبحين والمصفقين وتجار الكـــلام وبـاعـــة الأكـاذيب ومحترفى الجوائز وحملـــة اللافتات .

وسـوف تظل ديموقراطيتنا ومنـاخنا فاسداً حتى نتغلب بالفعل (وليس بالقول) على هذه البيرقراطية وعلى هذا النفاق الوراثى الذى دخل فى تكوين الجينات الـوراثية لهذا الجيل السيىء من عبيد القطـاع العام ومن الهاتفين بالديمقراطية .

وكان السـادات رحمه الله يقول لى دائما : لقد تـرك لى عبد الناصر تـركة من الحقد لا أعـرف كيف أتعامل معها ، والتركـة مازالت تتكاثر وتتـوالد .. وهى إحدى أكبر المعوقات أمام مستقبلنا .

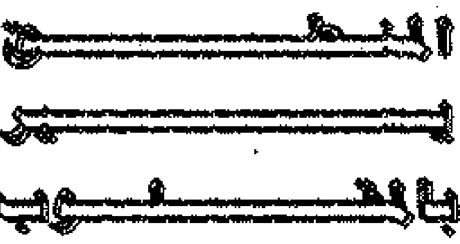
ولكنى متفـائل رغم كل شىء وشـديـد الثقـة بـالمستقبل ، فمصر بلـد المواهب والعقـول الفـذة وهى أيضـا بلـد الكنـوز ليس فقط كنـوز البترول والحديد والنحاس والمنجنيز والذهب واليورانيوم ولكن أيضــا كنوز الآثار والسواحل الجميلة ثم كنوز شبابها التى لا تنفد .

وموقع مصر الجغرافي هو أكبر كنوزها .. وتاريخها وحدة كنز حكمة .

ثم إننا عبرنا سنة أولى ديمقراطية .. وغدا ندخل سنة ثانية ديمقراطية.. ونحن على الدرب السليم .

وكل من على الدرب يصل مهما طال طريقه .





الفتح
يسير
بالقلوب

فى القاهـرة اطلق مجنون الرصاص فقتل ثـلاثة من الاجـانب فى فندق سميراميس ، وفى امـريكا بكـاليفورنيـا فى آخـر الدنيـا اطلق مجنون آخـر الرصـاص فقتل سبعة .

وما يفعله العقلاء والكبار أحيانا فى هذه الدنيا .. اكثر من الجنون .

أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها لتعيد الحاكم السابق جون برتراند ارستيد إلى هـايتى ولتخلع الحكـام العسكـريين هنـاك ثم نفـاجأ بأن المخـابـرات الأمـريكية الـــ CIA هى التى كـانت تمول هـؤلاء العسكـريين وتجنـدهم كعملاء ومرشدين وعيون لها فى دولة هايتى .

قوات الأمم المتحـدة تذهب للبوسنة لنجدة المسلمين واسعـافهم بالمواد الغذائيـة والأدوية ثم نفاجأ بأنها تختطف النسـاء البوسنويات فى عـرباتها المصفحة إلى جهـات غير معلومة وتقيـم حفلات أغتصاب صـاخبة تمارس فيهـا الجنس بـالاكـراه وتحت تهديد السـلاح ويشترك فى هـذه الحفـلات الصـاخبة جنود من كنـدا ونيوزيلاندا وفرنسا واوكرانيـا ودولة افريقية لم يذكر اسمها لاخضاع هؤلاء النسوة البائسـات لشهواتهم .

مـاركوس ودوفـاليه وشـاه ايران وسيـاد برى وصـدام حسين وكلهم عملاء وصنـاعة أمريكيـة مدربـة لاستنزاف ثروات شعـوبهم حتى النخاع لصالح الشركات الاجنبية .. وقد نبـذوا جميعا بعد أداء ادوارهم وانكشاف عمالتهم وقامت الـدول الأجنبية المستفيـدة بتلطيخهم أمام الـرأى العام .. وأعلنت أمريكا حـربا دولية شاملة على رجلهـا صدام حسين .. وقتلت مائة الف من جنـوده وجـوعت شعبه ولكنهـا ويـا للعجب .. احتفظت بـه حيـا وسليما معـافى لتخيف بـه بقيـة العرب لكى يترامـوا فى احضـانها ويقبلـوا عتباتها .. وإلا ..

سلطنة بـروناى دولـة مسلمة سلطـانها ثروتـه الشخصية ٣٢ مليار

دولار (أغنى رجل فى العالم) آخر أخباره أنه اشترى فندق ليونا هيلمس فى أمريكا ذا الأربعة والخمسين طابقا .. ومن قبل ذلك اشترى فندق بيفرلى هيلز بكاليفورنيا ، ومن قبل ذلك فندق دور تشستر بلندن ، وأمثاله كثيرون فى دول تعيش فوق خط التخمة .. وإلى جوارها دول أخرى تعيش تحت خط الجوع .. ودول اسلامية فى خندق الحصار والموت .. ونساء مسلمات تغتصب .. وأطفال تحرقهم القنابل أحياء .. ولا ضمائر تتحرك لتفعل شيئا..

وفى أفغانستان نقرأ أن حكمتار وربانى وسياف وشاه مسعود الذين قاتلوا السوفييت وطردوهم .. يقتلون الآن بعضهم بعضا بالقنابل والصواريخ ويدكون بلدهم بأموال وعدد وأسلحة من دول أخرى تغريهم بالانتحار .. وتشجعهم على تمزيق الراية الاسلامية التى حاربوا باسمها .

وفى أيرلندا يقاتل الكاثوليك والبروتستانت بعضهم بعضا تحت مسميات الاستقلال والحرية .

اما العلم الذى تقدم فى عصرالفضاء ومشى على القمر ورحل الى الكواكب فإنه الآن يرسل اقمارا صناعية للبث التليفزيونى تذيع على المشاهدين فى كل مكان افلام العرى والفحش والعهر والمباشرة الجنسية .. كما يحاول استنساخ الاجنة فى المعامل وتخليق جيوش من التوائم لمجرد العبث (فهناك انفجار سكانى فى العالم لا يحتمل المزيد) .

والمصانع لوثت البحر والبر والجو وخرقت ادخنتها غلاف الاوزون الواقى .. والبحر الابيض المتوسط تحول الى بحيرة مجارى ومستنقع للصرف الصحى لاكثر من عشرين دولة .

والجيش الروسى يبيع اسلحته وترسانته من وراء ظهر الحكومة الروسية .

والمافيا الجديدة تسرق اليورانيوم المخصب وتتاجر فى العلماء .

والحكومة الالمانية تقول انها تخسر مليارى دولار سنويا بسبب جرائم المافيا ، وان عدد المجرمين المعتقلين فى سنة واحد مائة الف .

واكبر تجمع لانتاج المخدرات وتصنيعها نجدة فى تركيا وافغانستان

وباكستان وكلها دول اسلامية ، والتجمع الثانى فى دول أمريكا اللاتينية بوليفيا وكولمبيا والمكسيك واخواتها ، وأربح تجارتين فى العالم هما تجارة المخدرات وتجارة السلاح وارباحهما تكفى لاطعام كل الجوعى وكسوة كل العريانين وتعليم كل الاميين وتشغيل كل جيوش البطالة فى العالم لمدة اجيال .

ولكن ذلك لم يحدث ولن يحدث لأنها ثروات شريرة تتكاثر فى محضن الشر ، وكل من ربح مليونا يريد أن يربح عشرة ، وكل من ربح عشرة ، يريد أن يربح ألفا .. ولا نهاية .. ولا أحد يفكر فى أحد .

وفى بلادنا العربية تغرى الوعود التى تلوح بها اسرائيل لخصوم الأمس .. بأنهار الدولارات والاسواق والمشروعات المشتركة والمعونات السيالة .. بنسيان القضية .. فيهرول الكل الى الاعتاب ولا يسأل أحد عن الانسحاب .. ويوقع الكل على مجرد الوعود .. ويرتضون بالاشارة والله اعلم بالعبارة .

فما الغرابة يا سادة والمنطق يسير بالمقلوب فى ان يصاب البعض بالجنون .

انما العجب كل العجب يا سادة ان يظل الواحد منا محتفظا بعقله .. وان يستطيع تجميع هذه المعلومات وان يضعها مرتبة على الورق .. وأن يصرخ باعلى صوته : افيقوا ايا الناس يرحمكم الله .

كيف تفعلون بانفسكم كل هذا .. وأنتم غدا ميتون .. ثم امام الله واقفون ثم لا يبقى لكم بعد هذا الا نياتكم وما تعملون ..

وانا معكم اننا نعيش فى فوضى .. وان الجنون هو الذى يحكم .. وان الشياطين هم الذين يقودون العالم .. ولكن منذ متى وفى اى زمان ومكان كانت هناك عدالة وكان هناك سلام وكانت الدنيا جنة ؟! .

منذ الاسرة الاولى فى التاريخ ادم واولاده .. قتل قابيل هابيل .. وقتل اليهود انبياءهم .. واباد الامريكان الهنود الحمر.. واختطفت بريطانيا ١٥ مليون افريقى وباعتهم فى اسواق النخاسة واستعملتهم فى بناء الامبراطورية .. ثم جاء مسلسل الفرس والروم والهكسوس والمغول والتتار

والوندال ومسلسل حروب الابادة حتى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما .. ومازال كل هذا حيا فى اذهاننا ..

نعم هنـالك فارق كبير بين الامس واليـوم .. بـالأمس كـان اقصى مـايستطيع السيف ان يفعل ان يقتل فردا واحـدا وكذلك الحجر والعصى والسهم ..

اما اليوم فالقنبلـة الذريـة قتلت مـائة وخمسين الفا فى لحظـة واحدة ، وخلفت الوفا بلا عدد للسرطان والحروق والتشوهات والموت البطىء ..

والقنبلة الهيدروجينية سوف تقتل الملايين بلمسة زرار !

وبالامس كان الخبر يـركب حمارا ويصلنـا بعـد شهور .. وكـانت كل اطراف الارض معزولة بعضها عن البعض كالجزر العائمة ..

واليوم تصلنا الاخبـار باسرع من البرق ويتصل العالم كله عبر الاقمار ويتحادث ويتشاجر ويشـاهد بعضه بعضا على الشاشات التليفـزيونية فى لحظتها .. والظلم يهاجمنا فى عدة اماكن فى وقت واحد .

نعم .. الظلم كان فى حالة عرض مستمر منـذ ادم .. ولكن العرض الآن درامى وفاجع ولحظى ومكثف ويـاتينا من كل اطراف الدنيـا فى ذات الوقت وينقض على حـواسنا واعصـابنا ويفجـر دمـاغنا فـلا يملك الواحـد الا ان يصرخ مستنجدا : رحمتك يارب ..

نعم لم تعـد هناك وقاية من الجنون ولا حـافظ من الانـهيـار سوى ان يلوذ الـواحد منا بـالله وان يتشبث بايمانه .. فلم يـرد الله بالدنيـا ان تكون سلاما أو راحة أو جنه ، بل وصفها بـالدونية وقال انها دنيا وأنها دار بلاء ودار عبـور ومرور وتـرنزيت وانـه لا قـرار فيها ولا سكن .. وانما القـرار عنده.. والقرآن كله اوامر بالصـبر على بلاء الدنيا عبر سبعمئة واحدى عشرة صفحة هى مجموع صفحاته ..

وجاء الامر المباشر بـالصبر اكثر من مائة مرة .. وليس مجرد الصبر بل الصبر الجميل..

« فاصبر صبرا جميلا » (٥ ـ المعارج) .

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » (١٠ ـ المزمل) .

« قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل» (١٨ ـ يوسف)

والصبر لا يكـون جميـلا إذا اتصف بالقبـول والتفهم وسعـة الصـدر وادراك الحكمة واليقين بالآخرة وتوقع المثوبة .

ولايكـون الصبر جميـلا إلا بمعرفـة الله وحسـن الظن بـه .. ولا يكـون جميلا إلا إذا اقترن بالشكر « صبار شكور » ..

والصبر الجميل شهـادة اسـلام حقيقي لمن يقـدر عليه ، وطـوق نجـاة وحيد فى عصر مضطرب يتزلزل فيه كل شيء ..

ولا أقـول لكل شـاب : لا تفـارق مسدسك .. بـل أقول لـه : لا تفـارق سجادة صـلاتك .. فـالصبر والصلاة هما حـارساك ولا غير ، إذا أردت أن تحتفظ بعقلك فى مهب الريح ..

وأقول لـه : انى نقبت فى كتب الطب والحكمة والفلسفة فلم أجد عـلاجا غير ذلك للحفاظ على سلامة العقل وسكينـة النفس فى زمان أصبحت الحياة فيه ملاحة صعبة فى بحار بلا شطآن .

ولعله المخاض الذى يؤذن بميلاد جديد والظلام الذى يبشر بالفجر .

ولعل الله وقد كلفنا المزيد من الصبر قد أراد لنا المزيد من الأجر ..

ولنحسن الظن بالله فهذا خلق المؤمن ..

وهذا أفضل الزاد للمقبل على سفر طويل ..

وكلنا هذا المسافر ..

أما الـذين فقدوا الايمان وفقـدوا الصبر فليس أمامهم إلا بـاب النار فى الدنيا وباب النار فى الآخر وراحة الجنون فى الترانزيت .

وكان الله فى العون ..

رجل بألف مليون رجل

اسمــه جورج سـوروس ــ يهودى مجرى ــ ملياريـر تبرع بخمسين مليون دولار لمنكـوبى البوسنـة والهرسك وخصص هذا المبلغ لبنـاء محطة مياه تحت الأرض فى سراييفـو لا تستطيع الصواريخ والقنابل أن تدمرها ، واستجلب لها المهنـدسين والخبراء والمعدات وسـوف تبـدأ هذه المحطـة فى العمل خـلال أيام وسـوف تقـوم بشفط المياه العـذبـة من النهر ثم تقـوم بعمليات التنقية والترشيح والفلترة ثم تضخ المياه النقية الى البيوت وبذلك

تضمن لثلاثمائة وخمسين ألـف مواطن بوسنى مسلـم محاصر حصته من المياه الصالحة للشرب .

هذا العمل الخير والنبيل قام به رجل واحد وأنفق عليه من ماله الخاص ، وكـان مجموع مـاتبرع بـه مساويـا لما تبرعت بـه ٤٧ دولـة اسلامية فى مؤتمرها الأخير « خمسين مليون دولار من ألف مليون مسلم !! »

وقد رأيت هذه المحطة على شاشات الـ .C.N.N منذ أيام .

وسـألوا الـرجل عن الداقع الـذى حدا به الى هـذا العمل فقال : إننى أرى المجازر والمذابح التى فعلها هتلر باليهود تتكرر أمامى مع المسلمين ، وهذا أمر لايجوز أن نسمح به أبدا .. هذا أمر شـائن ..

وظهر فى صوته التأثر الشديد وهو يقول بنبرة متهدجة :

وللأسـف يوشك المعتدى أن يفوز بثمرة عدوانه والعالم ساكت يتفرج !

واحترمت الـرجل ودعوت لـه من قلبى أن يتقبل الله عمله وأن يجعلـه فى ميزان حسناته يوم القيامة ..

وربنا الكريم لاتضيع عنده المروءات ولا يضيع الاحسان .

ولم يذم الله عامة اليهود إلا واستثنى منهم القليل من أهل الصلاح .

« فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم » (٢٤٦ ـ البقرة)

ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » (١٣ ـ المائدة)

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم » (٢٤ ـ ص)

وهؤلاء القليل هم الأعمدة والأركان التى يحفظ بها الله الأرض

وتمنيت أن يكون من أغنيـائنا ـ وهم كثير ـ من يفعل مثلـه مع منكوبى البوسنة .

وليس الكـرم وحده هـو الذى أثـار اعجـابى وإنما حسن توظيف هـذا الكرم ومتابعته للمال حتى أثمر عملا ثمينا وخدمة ثمينة هى انقاذ ثلاثمائة وخمسين ألف محاصر من الموت عطشا فى صقيع لايرحم ..

نعم .. مازال فى الدنيا خير ..

ومازالت جديرة بأن نحياها ..

●●●

أعجب القضايا

لا حديث في الشارع الأمريكي اليوم إلا عن هذه الزوجة العجيبة التي اغتصبها زوجها في الفراش « هكذا تقول » فانتظرت وهي تطحن أضراسها من الغيظ حتى نام ثم أتت بسكين المطبخ وقطعت عضوه الذكري .. واستيقظ الزوج البائس على المصيبة وهو غارق في دمه وذهب يصرخ للبوليس ورفع قضية اعتداء جنائي على زوجته .. وتصدرت القضية الصفحات الأولى في جميع الصحف .

وفي حوار على شاشة الـ C.N.N مع جمع من الزوجات الأمريكيات قالت احداهن : برافو هذه الزوجة قامت بعمل بطولي وانتقمت لجنسنا الضعيف المهضوم .. هذا عمل تاريخي وقضية تاريخية .

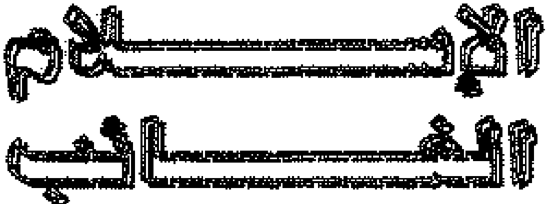
ولاشك أن الكثير من الأزواج في أمريكا يرتجفون الآن رعبا من احتمالات المستقبل ، والكثير من الشباب سوف يفكرون أكثر من مرة قبل الاقدام على الزواج خوفا من أن تتكرر أمثال هذه البطولات ..

أما القضية الثانية فهي فضيحة مدوية اهتز لها المجتمع الكنسي في أمريكا وأوربا وأصبحت حديث الشارع الأمريكي والصحف الأمريكية .. فقد تقدم الشاب ستيفان كوك الى النيابة يتهم كردينال شيكاجو جوزيف برناردين بالاعتداء عليه جنسيا .. وقال وهو يبكي أمام الـC. N. N إن الكردينال غمره بالهدايا وانه لم يستطع أن يقاوم رغبات رجل في مقام ديني عظيم وفي هيبة الكردينال .. وقد أنكر الكردينال هذه الاتهامات جملة وتفصيلا وقال : انها تخيلات في ذهن مخبول ..

اما ستيفان كوك وهو طالب في جامعة سنستاتي فيصر على اتهامه ويقول : ان أقل ما يجب على رجل دين في أعلى منصب في الكنيسة الكاثوليكية مثل الكردينال هو أن يعترف بالحقيقة ويستقيل ويترك منصب الكردينالية لمن يستحقه ..

وستظل أمريكا بلد العجائب !!




الإسلام
الغائب

أحيانـا لا أصدق وأنـا أرى ما يحدث فى البـوسنة أن هنـاك ألف مليون مسلم فى العالم .

وأقـول لنفسى أين هم ؟! ولا أحلم بأن أراهم جيـوشـا زاحفـة .. وإنما فقط أريد أن أسمع صوتهم .

إن الإسلام لاشـك غائب عن المعـركة .. إنه يحارب فى الضمائر ويقـاتل على الورق ويكـافح فى ميكروفونات المسـاجد ولكن لا وجود له خـارج هذه الحدود .

الإسلام كأخلاقيات وقيم ومبادىء ومثل وإنسانيات رفيعـة وشهامة وصدق وأمانة وشـجاعة لا وجود لـه فى الساحة .. وإن وجد فوجود شاحب خافت النبرة .

والـدول الإسـلاميـة بعضـهـا محتل وبعضـهـا تـابع وبعضـهـا مـدين وبعضـهـا عميل وبعضـهـا منكفىء على نفســه وبعضـهـا يضرب بعضـهـا ، وبعضـها غارق إلى أذنيه فى مشـاكله وفقره وتخلفه .

والجماعات التى تحمل السلاح وتقـول إنها جماعات الجهاد الإسلامى وطـلائع الفتح والناجـون من النـار والتكفير والهجرة . كلهـا لا تنتمى إلى الإسلام وإنما تعمل لحسـاب أعدائه وتفجر القنـابل عشوائيـا فى الشوارع لتدمر بلادها وتلطخ الراية التى تحملهـا لحساب الذين يدفعون هنا وهناك من بلاد عربية وأجنبية ولتشبع أحقادا لا تشبع .

الإسـلام غـائب عن المعركة .. ولا وجـود له إلا فى عيون دامعـة ونفوس مكبوتـه وقلوب كظيمة .. ومشـاعر فواره لا تجد لها مخرجا سوى كلمات ..

لا إلـه إلا الله .. لا حول ولا قـوة إلا بالله .. حسبنـا الله ونـعم الوكيل .. إنـا لله وإنا إليه راجعون .

ولكن هذا الوجـود الغائب رغم عجزه هو القنبلة الموقوتـة التى يخشاها الغرب لأنه يعلم بمقـدار هذه الطاقة المحبوسـة فى ذلك الكيان الذرى الهش الذى اسمه الدول الإسلامية وفى امكانية تفجر هذه الطاقة .

وإسرائيل موضوعة فى فم هذا البركان لتسكت صوته إلى الأبد .

فهل تستطيع .. ؟؟ هل تستطيع بكل ما أوتيت من سند ومدد .. ؟؟

إن فكرة السلام وفكرة ترويض الثـورة الفلسطينية وفكرة فتح الشـهية للدولارات والمعونات بالتلـويح بالسوق الشرق أوسطية لضـخ أنهار المال فى فـوهة البركـان لملء البطون بـالـدنيا ولـذائذها واسكـات الضمائر وشـغل النفوس الهائجة بـالتافة من القول .. كلها أفكـار ذكية وهى فى دور التنفيذ حاليا .

ومن لا تسكته تلك الـرشاوى يمكن أن تسكته طلقة مسـدس تشيعه إلى مقره الأخير وهـو ما يجرى بـالفعل .. ومن لا ينفع فيه هـذا ولا ذاك سوف تتكفل به الأقمار الفضائية بسـهرات حمراء ممتعة إلى الفجر .

كل هذا عظيم وعبقرى وشديد الـذكاء ولكن الحسابات هذه المرة سوف تخطىء لأنها لا تتعـامل مع آلات وأنظمـة ميكـانيكـة وإنما مع بشر .. مع شىء اسمه الإنسـان .. والإنسان لغـز لا يمكن التنبؤ بشكل قطعى بالحركة التى يمكن أن يقـوم بها فجأة .. لأن نيـاته غـير داخلـة فى الـحساب .. وهى غيب لا ينفع فيه الـكـومبيوتر .. ثـم إن وراء الإنسـان غيبا أعمق وأخطـر هو الذات الإلهية التى خلقته وهى من عالم الإبهام الـذى لا قبل لأحد بالإحاطة به .

والمخططون الكبـار للفتن قـد أراحوا أنفسـهم من هـذه المتاهات فهم لا يـؤمنون بها وهـم شـديـدو الثقة بحسـاباتهم المادية وكـومبيوتـراتهم (السوبر كومبيوتر يحسب ٤٥٠ مليون عملية حسابية فى أقل من ثانية) .. هكـذا يقـولـون .. وهـم فرحـون بما عنـدهم من العلم .. ومن هنـا سـوف يؤخذون .

وهذه هي الثغرة التى لم يحسبوا حسابها .

يقول ربنا في كتابه :

فلما نسوا ماذ كروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٤ ـ ٤٥ الأنعام) .

هذه قصص الأقوام الغابرة وكيف قطع الله دابرها.

ولكن التاريخ يكرر نفسه في سنن مطردة .

(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (٤٣ ـ فاطر)

وما حدث في الماضي سوف يتكرر

(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)(٨ ـ الإسراء) .

وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وما بلغ القمر ذروة اكتماله إلى عاد هلالا في المحاق .

وما بلغت دولة قمتها إلا بدأ العد التنازلي للسقوط لهاويتها .

وما بلغ الإنسان غاية شبابه ونضجه ورجولته إلا ونادته شيخوخته

وفي كل حضاره بشرية جرثومة فنائها .. وهي تنخر فيها ببطء حتى تأتي على بنيانها كله فيتهاوى على الأرض دفعة واحدة .

والسعداء الذين سيمتد بهم العمر إلى السنوات العشر القادمة سوف يشهدون تغير الأحوال وتبدل الأقدار ،وسوف يرون ما لا يخطر لهم على بال ، وسوف يفهمون كلمات الله المحكمات في قرآنه العظيم :

(وتلك الأيام نداولها بين الناس)

ومن يضحك أخيرا سوف يضحك كثيرا .

والصبر طيب .

السـلام العجيب

وهو سلام عجيب فعلا ، فعدد القتلى من الفلسطينيين الذى تحصده رشاشات المستوطنين اليهود في غزة والضفة أضعاف العدد الذى كنا نسمع عنه أيام حرب الانتفاضة .. والمعتدون هذه المرة هم اليهود والبادئون بالشر هم الجانب الإسرائيلي .. فأى سلام هذا .. وإذا أستمر

الجانب الفلسطينى يرد من منطق الجانب الأضعف ، وإذا ظلت الصلابة الفلسطينية تتهاوى تحت الوعود الوهمية بالسلام .. فإن النتيجة لن تكون إلا مزيدا من التراجع حتى يصبح ظهر الجميع إلى الجدار .

وإذا كان الفلسطينى يريد السلام بالفعل فليعلم تماما أنه لن يأخذه إلا بالقوة وإلا بأن يرد الصـــاع صاعين وليس بأن يتخاذل ويتمسح بأنصاف الحلول وبأوهام الانسحاب .

إن الصرب فى البوسنة يتفاوضون على السلام ويضربون .. والمسلمون يجلسون على مائدة السلام ويلتحمون بالسلاح الأبيض فى الميدان .. وهذا منطق العصر الظالم الدموى الذى نعيش فيه .. لا كسب لشبر واحد إلا بالدم حتى على موائد المفاوضات .

فلينفض ياسر عرفات ذلك الفراش الوثير اللين الذى استسلم فيه لأحلامه وليعاود الكفاح من موقف القوة لا من موقف التخاذل والملاينة واستجداء المعونات من هنا وهناك . وإذا كان يريد الصلح فلن يجده إلا غلابا وبالسلاح الأبيض .. ولينظر إلى مقاتلى « حماس » باعتبارهم جناحه الآخر الذى يفاوض به وليس خصومه الذين يطاردهم لتصفيتهم كما يريد أحبابه الجدد .

إن العالم الذى نعيش فيه هو مع التفاؤل الشديد ساحة للمصارعة الحرة .. أمريكا واليابان والصين مصارعون من الوزن الثقيل .. وإنجلترا وألمانيا ودول أوروبا من الوزن المتوسط .. وكوريا وسنغافورة وتايوان وهونج كونج من الوزن الخفيف .. والأفارقة من وزن الذبابة .

وأحيانا تدوخ الذبابة الفيل .. ومن أنواع الذباب ذبابة تسى تسى القاتلة .

ولا مانع من الأحلام أحيانا ..

والغائب لن يطول غيابه ..

ولا شىء كثير على الله .

السياسة بلا أخلاق

تفاصيل التحقيق مع وزارة تاتشر فى صفقات السلاح التى كانت تبيعها لصدام حسين حتى أواخر عام ١٩٩٠ كشفت النقاب عن أسرار كثيرة مثيرة

وراء كواليس السياسة البريطانية .. والكلام لإذاعة B. B. C لندن وليس من عندنا .

. والحقائق تقول إنه فى أشد أوقات حظر السلاح على الأطراف المتقاتلة فى الحرب العراقية الإيرانية كانت بريطانيا تخرق هذا الحظر (مع أنها هى التى أصدرت هذا الحظر وشددت عليه) وكانت تورد السلاح لصدام حسين عبر أكثر من شركة من شركات السلاح البريطانية .

وحينما كانت مسز تاتشر تشتم صدام حسين على شاشات التليفزيون تلك الشتائم المقذعة التى كنا نسمعها فإنها كانت تمده بالأسلحة الثقيلة عن طريق الأردن .. وحينما كانت تتحدث فى فزع عن المدفع العملاق الذى يصنعه كانت فى نفس اللحظة تمده بالمواسير الصلب التى يصنع بها مدفعه.. وكان صدام قد اكتسح الكويت بجيشه .

وحينما سئل الوزير المسئول عن هذه الفزورة قال : إن المصالح شىء والتصريحات شىء آخر .. وفى عالم السياسة ليس كل ما يقعل يقال .. ومصلحة بريطانيا كانت فى إمداد صدام حسين بالسلاح لأسباب اقتصادية حتى لا تذهب دولاراته إلى شركات أخرى منافسة ، ولأسباب أخرى هى المصالح السياسية البريطانية فى المدى البعيد ...انتهى كلام الـ B. B. C

وأظن أننا جميعا نعلم الآن تلك المصالح السياسية فى المدى البعيد .. وهى أن يطمئن صدام أكثر وأكثر إلى الصداقة البريطانية وإلى مدد السلاح الذى لن يتوقف (رغم الشتائم والاتهامات على شاشات التليفزيون) فيتوغل أكثر وأكثر فى عدوانه ويأخذه الغرور بأنه مسنود وأن عنده جواز مرور إلى أرض الكويت وبذلك يقع فى الفخ المرسوم حيث كان الحلفاء يجهزون المذبحة النهائية لجيشه ومعركة التدمير الشامل لأكوام العتاد الحربى الذى باعوه له بالأمس ، وهى مصلحة أخرى فى المدى البعيد فسوف تعمل المصانع البريطانية والأمريكية من جديد لتعويض ما تم تدميره وكله مكسب مادام العربى ذو الدشداشة هو الذى سيدفع ثمن التدمير وثمن الإصلاح وثمن السلام الجديد المطلوب .

وهكذا نــامت الأخلاق وأخــذ الشرف أجازه وأملــت المصلحة ضروراتها وتكلمت مســز تاتشر فى التليفـزيون بلغــة وتكلمت بينهــا وبين بوش بلغــة أخرى .. وصرحــت للصحف بتصريحات وباشرت فى غــرفة القيــادة السرية أوامر أخرى تماما غير تلك التصريحات

وأظن أن مــا أذاعته الــ B. B. C هــو أبلغ رد على الذين أنكــروا الـجانب التآمرى فى الـحرب العراقيــة الكويتيــة ، ومن قبل ذلك فى الـحرب العــراقية الإيرانية .

ويبدو أنها سنة قديمة فى البرتوكول السياسى للدول الكبرى أن تشترى المجرمين وتصنعهم وتربيهم ليكــونوا حكاما أشــاوس أمثال صدام حسين وسيــاد بــرى ومــوبوتــو ومــاركــوس ودوفــاليــه وليكونــوا عمــلاءهــا فى مستعمراتها التى رحلت عنهــا واستقلت اسميا وظاهريــا . وليكونوا أدواتها لبقاء مصالحها وكلمتها ونفوذها إلى الأبد .

وهكذا السياسة دائما بلا أخلاق .

وفى النكتــة القديمــة التى قالها تشرشل تلخيص ذكى لكل هــذا .. حينما كان يتجول فى المقابر ورأى شاهد مقبرة من الرخام مكتوبا عليه : هنا يرقد السياســى العظيم والرجل الصــادق الأمين فلان .. فقال تشرشــل فى دهشة :هذه أول مرة أرى فيها اثنين يرقدان فى تابوت واحد ..

فقــد كــان من المستحيل فى نظــر تشرشل أن يكــون السيــاســى العظيم صادقا .. ولابد أن يكون هناك رجل آخر فى التابوت بجواره .

وتشرشل أدرى منا ولاشك بأمور السياسة .

ولا أعمم فلكل قاعدة شواذ والعلم عند الله .

على عزت بيجوفتش

فى كل يــوم يكسب المقــاتل العنيــد على عزت بيجــوفتش احترامى أكثــر فأكثر .. فنحن أمام طراز من القادة العظــام من أمثــــال « هوشى منــه » لا يضع سلاحه أمام الجبروت ولا ينحنى أمام التهديد .

رجل عنيــد صلب لا يتراجع ولا يضــعف ولا يتردد ولا يهادن ولا يــداهن رغم أن الموت يحاصره والصواريخ تتساقط عليه والقنابل تتفجر حوله .

إن وحشية الصرب التي بلغت أقصى مداهـا لم تترك لأحد في البـوسنة اختيارا .. فمادام الموت قادما فلنقابله بشرف .

إن قلة الزاد وضعف العتاد ليستا ذريعة لقبول الذل .

إن كل العائدين من البـوسنة يقولـون إن القسوة والنذالـة الصربية لم تقتل الإسلام هناك وإنما بعثته من مرقده عاتيا عصيا .

وأمـام اليأس والموت وعدم النصرة من الدول الإسـلاميـة اتجهت كل القلوب إلى الله وحده ..

كلهم يقولون : الله وحـده هو القادر على أن ينجدنـا .. وسوف يجعل لنا مخرجا .

وفي إيمان عجيب يركعون ويسجدون ويصلون ويحملون المصاحف .

وفي إيمان عجيب يقبلون في هدوء كل ما تأتي به المقادير .. ولا يخشون انكسـارا ، ولا يأبهون بهزيمـة .. ويقـولـون نحن نقـاتل لأن قتـال الشر واجب وما يجرى علينا هو أمر الله ونحن نقبله .

وفي ساعات الفراغ يتعلمون العربية ويحفظون القرآن .

وفي وسط الموت والـدمـار تستمـر الحيـاة في سراييفـو .. الجامعـات مفتوحة والطلبة يذهبـون لتلقى العلم .. والموظفون يذهبـون إلى مكاتبهم بـانتظـام رغم إنهم لا يتقـاضـون رواتبهم .. والأطفـال يلعبـون الكرة في الملاعب .. ويسقط القتلى ويدفنون .. والأحيـاء يأكلون حشيش الأرض إذا لم يجدوا ما يأكلونه .. وتمضي الحياة في إصرار وكأن لا شيء حدث .

وفي كتاب يحيـى غانم المراسل الحربى لـلأهرام .. « كنت هنـاك » يقرأ القارىء صـورة مشرفة لشعب بطل سوف يظل صـامدا مقاتـلا لعشرين شتاء قادم .

وبين الصفحات المشتعلـة .. يشعر القارىء أن الإسلام الغـائب سوف يعود .. وسوف يملأ الدنيا نورا من جديد.

هذا الوزير الفرنسى

وزير الدفاع الفرنسى يجتمع بمسئولين عسكريين في اسبانيا وايطاليا ويقـول انـه بصـدد تكـوين جيش طـوارىء من الـدول الثـلاث لمواجهـة

الاصـوليـة الاسـلامية .. لا يقـول الارهاب الاسلامى أو التطـرف الاسلامى بل يقول الأصـولية الاسلاميـة التى أصبحت العدو الـذى يهدد الحضارة الاوروبية على حد قوله .

الا يعلم هذا الـوزير أن المملكة العـربية السعـودية هى مهد الاصـولية الاسـلامية وان ايـران تحكمهـا اصوليـة اسلاميـة وأن بـاكستان ولـدت كإصولية اسـلامية .. وأن أزهر مصر هو قلعة الأصوليـة الاسـلامية ومثلها قلعة الزيتـونة فى تونس والقرويين فى المغـرب والنجف فى العراق .. وأن كل مفكر وكل كاتب اسلامى فى بـلاد المشرق هو اصولى اسلامى بالضرورة .. وكل ساجد وراكع هو مسلم وصولى .

الا يرى السيد الوزير الذى يتكلم من موقع المسئولية ما يفعله التحالف الاوروبى الصربى للمسلمين فى البوسـنة وجريمة هذا التحـالف الذى يتألف من فرنسـا وانجلترا وروسيا واليونان ورومـانيا والفاتيكان والـذى تدعمه امريكـا بسكوتها .. هـذا التحالف الـذى عجز عن سحق الجيش البتوسنى المسلم الصـغير الذى يحارب ببنادق قديمة رغم عدوان مسلح شرس استمر قرابة السنتين يضـرب هذه الحفنـة الصـغيرة الصـامدة من الجو ومن الارض بالصـواريخ والقنابـل .. ولم يكن فى البوسنـة اصوليـة ولا اصوليين وانما بضعة اثـار اسـلامية ومكتبـات ومآذن ينطلق منهـا صـوت (الله اكبر) على استحياء فى ربـوع اوروبا وكانت هذه هى جـريمتهم الوحيدة التى عـوقبوا عليها .

وارادوا خنق هذا الصوت وهدموا المآذن ودمروا المساجد ولكن الصوت ارتفع دويه .. وصرخة الله اكبر جلجلت من حنـاجـر ثلاثمائة الاف جنـدى كلما انطلقت رصاصة .. والذين لم يكونوا اصوليين اصبحوا اصوليين ومن كـان لم يصلى اصبح يصلى ومـن كـان لا يعـرف القـرآن اصبح يحتضن المصحف فى صحوه ونومه .

الا يكتفى السيـد الـوزير المسئـول بهذا العـار الاوروبى وهـذا الحلف المخجل الـذى تحالف بالنـار والـدمار والسـلاح والعتاد على شعب اعـزل محاصر تحت الجليـد .. فيعلن عن تكوين قـوات تـدخل سريع من فرنسـا

واسبانيا وايطاليا للتصدى للاصولية الاسلامية فى جنوب البحر المتوسط (وهو جنوب ممتد بطول مصر وتونس وليبيا والجزائر والمغرب وعمقا الى السودان والنيجر وتشاد وارتريا والصومال) .

ما هذه الرائحة الصليبية اليهودية التي تفوح من فم وزير فرنسى متحضر وما هذه الكتائب الجديدة التى سوف تتصدى للاصولية الاسلامية ..

وهل استطاعت الصهيونية ان تستنفر غزوة احزاب اخرى يجتمع فيها الاحمر والابيض والاصفر على قتالنا .

لقد كدت اكذب اذنى وانا اسمع اذاعة لندن تعلن عن هذا التشكيل العسكرى الجديد .

ولكن يبدو ان النذر تتجمع فى الافق باسرع مما نظن .. والمواجهة الاولى ستكون فى الجزائر غالبا .

ولكن ماذا فعلت الاصولية الاسلامية المغلوبة على امرها والمكسورة الجناح لتخيفهم الى هذه الدرجة .. ؟!

اما اننا اقوياء ومخيفون ولا نعلم من امر قواتنا شيئا .. ؟!

نعم يا سادة نحن مرضى ضعفاء الاجسام فقراء مغلوبون على امرنا ولكن بداخلنا قوة روحية هائلة لا ندرى بها ومارد نائم لا نعلم مدى قوته .

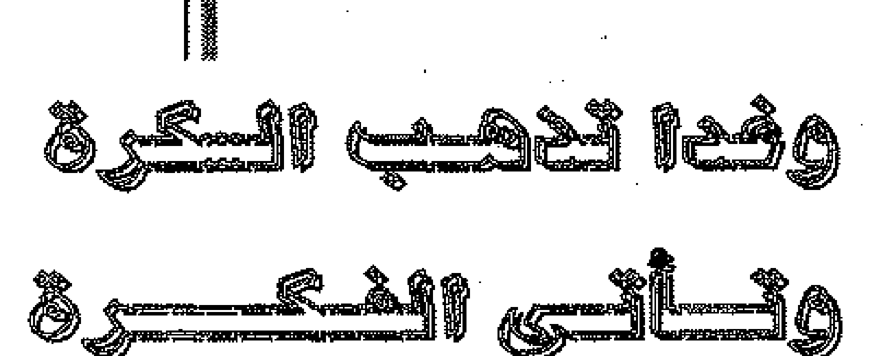
وانظروا الى المقاتل البوسنى الذى يقاتل تحت الجليد امما اوروبية بأسرها وهو لا يملك سوى الله أكبر .. وايمانا لا يقهر .. وبندقية قديمة .

وهذا الايمان هو ما يخيفهم .

هذا الايمان الذى يزلزل الجبال ولا يزول .

نعم يا سادة .. نحن مخيفون فعلا .. وقد صدق حسدهم .

ومن اجل هذا سوف ننتصر رغم جميع الحسابات التى تقول غير ذلك .


وهنا تذهب السكرة
وتأتى الفكرة

انهيـار الامبراطـوريـة الروسـية فتح البـاب لكـلاب الصـيد (صيدالأسواق) لتتهارش ويسـابق بعضها بعضا على اللقمة .. اليـابان العملاقة لا تريد أن توارب الباب لـدخول السيارات الأمريكية ولتدفق الأرز الأمريكي .. والصين توشك أن تكون العمـلاق رقم ٢ في العام القادم وعينها على الأسواق الآسيوية الهائلة، وأمريكا تغازل العمـلاق الصيني وتهدد وتتوعـد بفتح ملف حقوق الانسان ، ثم تبعث الـرسل بالتحيات المبـاركات من كلينتون لاقتسـام اللقمة الكبيرة الموجودة .. والسوق الأوربيـة المتحدة تخشى من الابتلاع الأمريكي وتصر على شروط «الجات » وعلى التنافس مع الأمريكـان بمنتجات زراعيـة مدعـومة وبـالتالي أرخص سعرا..وأمريكا تـرفض وتصر على الرفض .. وألمانيـا غـارقة في مشـاكل الـوحدة الألمانيـة ونفقـاتها وهي تنظر في رعب الى أجـر العامل في ألمانيـا الذي تجاوز الـ ٢٥ دولارا في السـاعـة وإلى أجر العـامـل في الصين الذي يقل عن دولار وتحسب حسـاب المنـافسة الجديـدة الخاسرة مع عـالم النمل .. ولكنهـا تحتشـد وتتربص وتنافس في اللعبـة بصناعة متفوقة ومـارك ألماني زهيد الثمن ..ثم عيـون الكل على أسواق الشرق الأوسط وخطـة الجميع ان تظل دول الشرق الأوسط جميعهـا عبيد إحسـان ورهـائن تخلف وعصـابات يقتل بعضهـا البعض وتشترى السـلاح من اليمين والشمال ، والخطـة المستمـرة هي الايقاع بين العـرب وايران ، واتهام ايـران بأنها وراء كل قنبلـة تنفجر في أي شارع عـربي لإشعـال حرب إسـلامية امتدادا لما حدث بـاشعالهم لحرب عراقيـة ـ إيـرانية ثم لحرب عراقيـة ـ كويتيـة، وتدمير السـلاح العربي ثم إعـادة تـوريده، وتـدمير المدن ثم إعـادة بنـائها في سلسلـة من العمليـات

وتضاعف المال الأجنبى، وتعالج البطالة عندهم وتسد فائض العجز فى خزائنهم وترمى بنا نحن فى حضيض الديون وفى هاوية الربا والفوائد المركبة والخراب .. ونحن نصادق على كل مايصلنا من وكالات أنبائهم .. فإذا قالت ان العدوان على رئيس وزرائنا تدبير إيرانى قلنا فى ببغائية : نعم هو تدبير ايرانى .. رغم أن كلامهم يناقض تحقيقاتنا التى :تقول : إن التحريض والأموال قادمة من أفغانستان !. وعصابة أفغانستان ـ كماهو معلوم ـ تمويلها من المخابرات الأمريكية الـ CIA وهى فى قبضة المخابرات الأمريكية منذ أن كانت تعمل لحسابها فى حرب أفغانستان ضد السوفيت .. وأكبر ضبطية للمتفجرات ضبطت فى سيناء منذ أيام وسيناء ممر اسرائيلى وملعب لنشاط الموساد وليست ملعبا لنشاط إيرانى .. وكل المخدرات المهربة تأتينا من سيناء عبر الغردقة الى الصعيد .. والذين يعجبون كيف يكون الموساد الإسرائيلى وراء تمويل الإرهاب الاسلامى .. أقول لهم وأذكرهم : كيف كان هنرى كورييل اليهودى وراء تمويل الشيوعية المصرية .. وكيف كان المال اليهودى وراء كل الفتن فى التاريخ ؟!

ولكننا ننسى كل هذا ونأخذ مايأتينا من وكالاتهم الاخبارية وكأنه نبأ منزل من السماء.

وقد جاء الوقت الذى نفيق فيه ونعلم أننا فى حرب حقيقية وأننا الفريسة التى يطلبها جميع الأكالة .. وان هناك حصارا لكل ماهو اسلامى ..واتهاما لكل ماهو اسلامى .. وفى هذه اللحظة التى تقرأون فيها هذه الكلمات .. هناك ألوف المسلمين المحاصرين يموتون تحت الجليد فى سرايفو وموستار وتوزلا .. ومحظور انقاذهم ، وجميع معابر وطرق الامداد بالمعونات مسدودة وعليها جنود صرب أو جنود كروات .. وأوربا ضالعة فى هذه الإبادة وأمريكا متحالفة بالسكوت .. مع أنها تصرخ كل يوم وتندب وتولول على ضحايا طائرة لوكاربى وعددهم مائتان وخمسون ، وقتلى البوسنة مائتان وخمسون ألفا ، والمطاريد الهائمون منهم ثلاثة ملايين آدمى .. ولو كانوا ثلاثة ملايين كلب لتكتل العالم لإنقاذهم ولخرجت مظاهرات جمعيات الرأفة بالحيوان ولمشت مسيرات جماعات الخضر

والحفــــاظ عــلى الـثروة الحـيوانية ولطبعــت ملايــين المنشـــورات عن الـ biological diversity وخطر انقــراض نوع الكلاب من الدنيا ومسئولية الجنس البشرى عن الأحباب الكلاب المهددة بالفناء .

ولكن مــواطنو البـوسنــة يتجمدون ويمــوتــون من الصقيع في صمت عالمي مريب يشي بالتآمر والجريمة الشمولية التي اشترك فيها الجميع .

وسوف يعــاقب الجميع ولن يذهب دم هــؤلاء الضحايــا هدرا .. فــالذى خلق الكــون وجعل كل ذرة فيه بميــزان وكل مجرة بحساب ومقــدار .. هذا الخالق ـ سبحانــه ـ لايعبث ولايفرط ولاينسي ولايهمل .. والبراءة لن تهدر والاجرام لن يغفر .. والديان لا يموت ..

وهل رأيتم الكترونــا يفلت مــن مــداره دون أن يعطى شحنــة تســاوى حركته وهو الكترون تافه ؟ !

فكيف يتصــور هؤلاء المجــرمون الغــلاظ انهم سوف يفلتــون .. ونحن نعيش في عالم يحكمه إله لايضل ولا ينسي ولايخطيء ولايظلم مثقال ذرة .

ومن أجل هــذا فإن علينــا كشهــود عصر ألا نخدع أنفسنــا وألا نــداهن الظلمـــة وألا نسير في ركــاب الجبــــارين وألا نسكت على حق مهضــــوم .. فالاقويــاء لن يظلوا أقوياء ، والضـعفاء لن يظلواضعفــاء .. والتاريخ يقول : إن هنــاك بحــارا ومحيطــات أصبحــت صحـــارى ، وصحـــارى تحولت الى وديان خضر .. وأن هنــاك جبارين بادوا وامبراطوايات فنيت .. وان كل باطل يزول ولا يبقى إلا الحق .

ودبلوماسيــة اتقاء خطر الأشرار وتجنب مصادمة الأقــوياء ربما كانت دبلوماسية سليمة ولكن ليس الى درجة ظلم النفس وخداع الذات ..وكماقلت نحن الفريســة التي يطلبها جميع الاكــالــة ..وعلى الأقل لايصح أن نــؤكل ونحن في غفلة .. لايصح أن نؤكل ونحن نشكر الأكــالة ونبارك الأيدي التي تفترسنا .. وهناك حــد أدنى من الوعي مطلوب لنرســم لأنفسنا استراتيجية سليمة .. وحد أدنى من الايمان لنحتفظ بثقتنا وشجاعتنــا ومعنوياتنا عالية في طوفان الأحداث.

وعمر الباطل ساعة والحق حاكم الى قيام الساعة.

وانظروا تحت أرجلكم.. تجدوا تراب خمسة عصور وبقايا خمس مدن وأثار خمس حضارات تحت تراب القاهرة.. حضارة فرعونية وحضارة اغريقية وحضارة فارسية وحضارة رومانية وحضارة إسلامية.. وربما تحت أقدامكم الآن بقايا درع مكسورة كان يلبسها فارس مغوار وبقايا مكحلة كانت تكتحل بها أميرة تمشى فى موكب فخم ، وأكاد أسمع أصوات المواكب ونفير الجيوش تحت التراب.. والعرس وضيوفه والقاتل والقتيل والظالم والمظلوم فى حفرة واحدة قد استووا ترابا.

لاشىء فى الدنيا يساوى أن نكذب أو نخون أو نظلم.

لاشىء يدعونا لأن نخاف.. والخائف سوف يتمدد الى جوار الذى يخاف منه بعد قليل ، والجبان لن ينجو من الموت والرعديد سوف يسبق الشجاع الى حتفه.. وسوف تتفكك هذه البنايات وتنهار تلك العمائر الجميلة كأنها ديكور من ورق اللعب ، وسوف تزول هذه الزخارف كأنها نقش على الماء.. ولن تبقى إلا شواهد قبور.. ثم تغور الشواهد فى التراب أو الرمال.. ثم لايبقى أسم ولا رسم.

والذى يعى هذا جيدا سوف يقبل على الدنيا بجسارة وسوف يخوض أحداثها بقلب من حديد ، وسوف يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، وسوف يبسط يده بالخير لايخاف فقرا ، وسوف يواجه البأس لاتزلزله الزلازل ولا تحركه النوازل.

وهؤلاء هم أهل الاحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ويتعاملون مع الموت كأنه رفيق حاضر وصاحب مصاحب منذ الميلاد.

فاجتهدوا أن تكونوا من هؤلاء لتدين لكم الدنيا وتسلم لكم الآخرة وقولوا الحق يرحمكم الله.

إخــــلاء طـــرف

قرأت لأكثر من كاتب فى أكثر من صحيفة فى الآونه الاخيرة كلاما كثيرا يستنكرون فيه اتهامنا للغرب ولأمريكا فيما تفعله إسرائيل ومايقترفه الصرب والكروات فى حق مسلمى البوسنة ، وما يجرى للعرب ولبترول العرب بعد حرب الخليج..

ويقول هؤلاء الكتاب : إن الغرب برىء وأمريكا بريئة وطاهرة اليدين من جرائم إسرائيل ومن وحشية الصرب ومن عدوان الكروات ومما جرى للعرب وبترولهم وثرواتهم فى حرب الخليج ، وأن الكلام عن تآمر الغرب هو نوع من تبرئة النفس وإخلاء الطرف ولا يوجد دليل واحد على هذا التآمر الغربى، وكل ما فى الأمر أننا مغفلون وجهلة وأعداء لأنفسنا وقد جلبنا على أنفسنا الدمار بهذا الجهل.. وفى النهاية نحاول أن نعلق هزيمتنا وفشلنا على شماعة التآمر الغربى.

وهو كلام جزاف وغير موضوعى.. فما حدث أن كتبت عن الدول الاسلامية وأزماتها الا وبدأت كلامى باتهام النفس وبالاعتراف بأن المسلمين متخلفون وجهلة وكسالى وسلبيون وأعداء أنفسهم . ولكن الوقوف بالاتهام عند هذا الحد من إهانة النفس وتبرئة ذمة الآخرين مما يجرى على الساحة هو جريمة ، والأدلة التى يطلبها أصحابنا لإدانة الغرب واتهام أمريكا ظاهرة للعيان وهى موثقة تاريخيا ولا تحتاج الى مستندات..

ألم تعط انجلترا وعد بلفور لليهود ومكنت لهم من وضع أقدامهم فى فلسطين.

ألم تسمح أمريكا بالترسانة العسكرية النووية والكيميائية والميكروبية لإسرائيل وخطرتها على العرب وطاردت الحكومات بالتفتيش فى كل شبر عن أى شبهة فى سلاح نووى أو كيميائى أو جرثومى؟! ألم تساندها بكل شىء من الرغيف الى الصاروخ الى التكنولوجيا المحظورة الى السوبر كومبيوتر الى الفيتو المستمر الذى يحميها من أى عقاب.

وحتى سنة ١٩٩٠ من كان يمد صدام حسين بالسلاح حتى طفحت مخازنه بالأسلحة من كل لون؟ ، ومن أعطاه الإذن ليبدأ بالعدوان على ايران ثم يمده بالسلاح ويستمر فى إمداده ثمانى سنوات فى حرب استنزاف اسلامية ـ اسلامية متصلة.. من ياسادة.. الغرب.. أم الشرق؟!

ولقاء السفيرة الامريكية ابريل جلاسبى بصدام.. ومسودة الحديث الذى دار بين الاثنين والذى أعطى الضوء الأخضر لصدام وشجعه على أن يمد عدوانه الى الكويت.. وهى المسودة التى أشار اليها روس بيرو وطالب

الـرئيس بوش بإطلاع الشعب الأمريكي عليها.. هذه المسودة التى إختفت.. واختفت معها ابريل جلاسبى من السلك الوظيفى كله.

وفى البـوسنـة والهرسك من الـذى أصدر الأوامـر بحظـر السـلاح على مسلمي البوسنـة ؟!.. أليست هى الأمم المتحدة وقـالت ساعتهـا إن الحظر عـام على الصرب والمسلمين . قـالت هـذا وهى تعلم أن تحت يـد الجيش الصربى كل ترسـانة الجيش اليوجوسـلافى الذى جهزه تيتو بـالإضافة الى مصانع الصلب والـدبابات والسـلاح.. ثم لاشىء تماما على الجانب المسلم سوى بنادق قديمة..

وكيف يمكن تسميـة مـايفعلـه الصرب هنـاك حـربـا عـرقيـة .. وهم يحرصون على تدمير كل مسجد ونسف كل مئذنة وتدمير أى مكتبة أو أثر اسـلامي .. وكيف تكون تلك الحرب عـرقيـة وهم جميعا سـلاف بعضـهم أسلم فى الماضى وبعضهم مازال على مسيحيته ؟ .

وبعـد انهيـارسعـر البترول فى الأسـواق هل يستطيـع العـرب حجب البترول بعض الشىء لـرفع سعره بعـد أن أصبحت مياه الخليج قـاعدة للبوارج الأمـريكية واصبحت الآبار كلهـا تحت حراسة الحلفاء الأمـريكان وأصبحت ارادة الأوبك فى تسعير النفط مرهونة بمصالح الحليف.. وأصبح وجود الأوبك نفسها وجودا شبحيا أقرب الى الظل منه الى الحقيقة .

واذا تركنـا الحاضر وعدنـا الى الماضى السعيد دعـونا نسـأل : هـل جاء نابليون الى بـلادنا بدعوة وتذكـرة ضيافة .. أم جاء بـالأساطيل والبوارج ودخل علينا غزوا ؟!

وهل احتلت انجلترا القنال بالمراسلة أم بالمدافع ؟

ومن إختطف خمسـة عشر مليون افريقـى ليبيعهم فى أسواق النخـاسة وليأخذهم عنوة فى السلاسل لبناء الامبراطورية البريطانية ؟!

ومن أبـاد الهنـود الحمر وأخـذ أرضـهم وبـلادهم وأسماهـا الولايـات المتحدة.

ومن قـام بـالعـدوان الثـلاثى الغـادر على مصر فى ١٩٥٦ الشيـاطين والاشباح ..أم الغرب المتآمر ممثلا فى فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ..؟

وهل مايجرى فى الحاضر الا ابن شرعى لما حدث فى الماضى .. وبعد كل هذا نسمع من يبرىء الغرب ويغسل أيدى الأمريكان مما يجرى .. ويجعل منا نحن المتهمين الوحيدين والمجرمين الوحيدين والجناة الوحيدين والأعداء الوحيدين لأنفسنا .

ونسمع من يقول : ان الحديث عن التآمر هو حديث خرافة .. ومثله مثل من يرى الشمس وينكرها ..

●●●

ولا نعفى أنفسنا .. أى والله .. رغم كل شىء ، بل نقول أخطأنا وتكاسلنا وتخلفنا وأذنبنا .. ويقف لنا نوع آخر من الخصوم الجدليين هم العلمانيون ويقولون : بل كان ذنبكم هو الاسلام نفسه .. فهو الذى ربى فيكم التواكل والتسليم والاحساس بالقدرية وعدم الجدوى من أى عمل . فكل شىء مكتوب ، وكل شىء مقسوم .. وتقديسكم لحروف القرآن جعلكم تتحجرون على مدلولاتها فلا تفكرون ولا تجتهدون ، وأصبح كل همكم هو الحفظ والاستظهار والتلقى دون فكر أو ابداع ، وآثرتم الفقر والكسل .. وتفرقتم شيعا كل فرقة تحمى نفسها بالتشدد والتطرف واختلفتم وتصادمتم وتمزقتم إربا وذهبت ريحكم ولم يعد لكم شأن يذكر .. اتركوا الاسلام واقطعوا علاقتكم به كما قطعت أوروبا علاقتها بالكنيسة فى عصر النهضة وانطلقت تسعى بالعلم وحده فغزت العالم وسيطرت على مقدرات الأرض .. اتركوا الاسلام واغلقوا عليه أبواب المساجد وتعالوا معنا ننطلق بالعلم وحده .. وسنفتح الدنيا ونغزو العالم .

وكذبوا جميعا .. فما أمرنا الاسلام بالتواكل ، بل بالتوكل ، والتوكل يقتضى من المسلم أن يبذل وسعه وأن يستفرغ همته وأن يفعل أقصى مايستطيع ثم يتوكل ويترك أمر التوفيق لله .

وما أمرنا الاسلام بالتسليم لأحد بل لله وحده ، وما جعل القدر حائلا دون العمل ، بل أمر بالعمل . وقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للذى قعد عن التداوى وتصور أن مرضه قدر الهى .. قال له : تداوى فقد جعل الله لكل داء دواء .. وإنما تعالج قدر الله بقدر الله .. وكان نبينا أول العاملين ،

وقبل أن يموت كان قد دخل أكثر من ستين معركة مع المشركين ، ولو كان متواكلا لما ترك بيته ليواجه خطر الموت كل مرة .. وما أراد الله بنا أن نقف عند حروف القرآن ونكتفي بالحفظ والاستظهار والتلقى ، بل أمرنا بأن نعمل بها وأمرنا بالتفكير فيها والتدبر لمعانيها وقال فى كتابه الكريم :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤٤ ـ محمد)

وفى كل آيات القرآن أوامر بالسير والنظر والتأمل والتفكر وطلب العلم .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ـ يونس)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت » (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ الغاشية)

وفى تلك الآيات لفتات مختصرة لكل علوم الفلك والجغرافيا والأحياء .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » (٤٢ ـ الروم)

وفى تلك الآيات لفتات لكل علوم التاريخ والتطور ..

والمسلم الصحيح هو من يستزيد من العلم كل يوم ويقول : « رب زدنى علما » .

والزهد فى الدنيا هو أن تجعلها فى يدك لافى قلبك ، وبالتالى لاتتركها فى أيدى الآخرين ، والفقر والافتقار هو لما فى يد الله وليس لما فى يد الناس .

وفى مئات الآيات التى جاء فيها ذكر الإيمان جاء الإيمان مقرونا بالعمل: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ورغم أن الرسول الذى جاء بالاسلام أمى .. الا أن أولى آيات القرآن كانت أمرا بالقراءة : « اقرأ باسم ربك » .

والعمل كان أولى الشرائع التى نزلت بأوامر مكررة فى كل صفحة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وحذرنا الله من التفرق وقد جمع النبى قبائل العرب بعد فرقة وحقق الوحدة المستحيلة فى الجزيرة العربية .. والاسلام كان دائما رمز الوحدة والتوحيد .. والذين فهموا الاسلام بهذا المعنى كانوا أعلاما وقادوا الدنيا وعلموها وأناروها .

ولكن التخلف جاء حينما انحرفنا عن هذه المعاني وسرنا وراء الماركسي والعلماني وأضعنا همتنا في الكلام والجدل، وبهرتنا فاترينات السلع الاستهلاكية والاختراعات التي تدفقت علينا من العالم الغربي في هيلمان من الغزو الفكري والثقافي والفني أفقدنا التوازن وسلبنا هويتنا ولغتنا وعقلنا وميراثنا.

ومازال الغزو مستمرا .. وله الآن سماسرة .. ودول كبرى تساهم فيه .. وأجهزة اعلامية مفترسة تدخل كل بيت بالصوت والصورة والألوان والأغنية والرقصة .. ومدفعية من الصحف والكتب والاذاعات وأقمار تنزل علينا من الفضاء بما تريد من دعايات.

●●●

والحق منتصر بإذن الله ولو طال الأجل. فإن الله لم يخلق هذا الكون للعبث واللعب.

« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين » (٣٨ ـ الدخان)

ولكن الله يمهل اللاعبين ويمد في الحبل للعابثين لكي نتحرك نحن ويكون لنا دور وليكون لنا مقال وليكون لنا فعل ولتكون لنا وقفة إزاء تلك المهزلة التي تجري ومشاركة في نهايتها.

ومائدة الله ممدوده تنادي : هل من طامع في ثوابي؟

والكل غارق في عسل الدنيا، واقع في حبائلها، ضائع في شباكها .. وقد غفلوا جميعا عن الموت القريب.

ذلك الموت الذي تدق أجراسه مع كل نبضة قلب هاتفة : ضاع يوم وما ضاع لن يعود.

وغدا تذهب السَّكْرة وتأتي الفَكرة!

أهون على الله أن تهدم كعبته
من أن يقتل مؤمن واحد ظلما

الاسلام برىء من أى جماعة تستعمله للوثوب على السلطة أو اغتصاب الحكم .. والاسـلام ليس تمردا ولا فكرا انقلابيا .. وإنما الاسـلام دعـوة وتبليغ وبيان بالمنهج الأمثل للحياة الطيبـة وتعريف بـالله ووحـدانيتـه وعبـادته ، وتعـريف بالآخرة والحساب ، ثم بعـد ذلك .. ليس بعد البـلاغ شىء .. وكل انسان حر يختار ما يشاء بإرادته ..

وإذا كان المسلمـون حاربوا الـروم والفرس فى الماضـى فلتحـرير إرادة الشعـوب من جبروت الطغاة .. ومحور الاسـلام كان دائما تحريـر الإرادة وتحرير الاختيار .

لا إله إلا الله .. لا حـاكم للوجود إلا الله .. تحرير من كل الأصنـام المادية والمعنوية .. وتحرير من الأوهام والمخاوف .. ومن كل ذى جبروت .

والاسلام السيـاسى هو صنـاعة رأى عـام بهذا المعنى وليس صنـاعة ثورة تضطهد الناس أو إرهابا يطاردهم .

ولايوجد حاكم فى الـدنيا لايهتم بالرأى العام فهو يستمـد قوته من قوة الرأى العام الـذى يقف معـه .. ومن هنا تكـون قـوة الدعـوة .. وليس من عضـلاتها .. فسـوف يحسب لها الحاكم ألف حساب لأنها صـوت الـرأى العام ومشيئتـه .. والله لم يجعل محمدا عليه الصلاة والسـلام متسلطا على الناس ولا جبارا .. وإنما مجرد مبلغ .

« وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (١٨ ـ العنكبوت)

« إن عليك إلا البلاغ » (٤٨ ـ الشورى)

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (٢١ ـ الغاشية)

« نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار » ٤٥ ـ ق)

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » (٢٧٢ ـ البقرة)
« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٥٦ ـ القصص)
« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم » (١٢٨ ـ آل عمران)

وهذا كلام الله لنبيه الكامل الذى وصفه بأنه على خلق عظيم .

فماذا يكون قوله للحثالة الإرهابية التى تخرج على الناس بالمدافع الرشاشة لتهديهم .

لقد كذبوا جميعا ولا علاقة لهم بإسلام ولا بدين أى دين . إنما هم عملاء فى أيد أجنبية تحركهم .. والصحافة التى تصفهم بالإسلاميين المتطرفين تشوه الاسلام وتنعته بما ليس فيه .. وهى علينا وليست معنا .

وإنما استمدت الدعوة الاسلامية قوتها من القيم والمثل والأخلاقيات التى تدعو إليها .

واستمد النبى عليه الصلاة والسلام قوته من خلقه وطهارته وأمانته وصدقه .

بل إن مفهوم المجتمع نفسه ومفهوم الوطن ، ومفهوم القومية فى القرآن ثانوى على مفهوم الفرد .

« أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به » (٩٢ ـ النحل)

إن الله جعل الأمة أداة لابتلاء الفرد وامتحانه .. لأن أخلاق الفرد لاتظهر إلا بما يفعله مع اخوانه وأهله ومجتمعه .. فالمجتمع ليس كائنا حقيقيا وإنما هو مجرد وجود اعتبارى ووعاء لظهور شر الفرد وخيره .

ولكن الفرد والذات الفردة هى الحقيقة الوجودية التى من أجلها خلقت الدنيا وأقام الله المجتمعات .

والفرد هو الذى يتوجه إليه الخطاب والامتحان والحساب والعقاب .

« ذرنى ومن خلقت وحيدا » (١١ ـ المدثر)
« ونرثه مايقول ويأتينا فردا » (٨٠ ـ مريم)
« وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (٩٥ ـ مريم)

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع

بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٩٤ ـ الأنعام)

ومعنى ذلك أن المجتمع والـوطن والقوم ليست كيانات وجودية بذاتها وإنما هى ضمن مايترك ، وضمن مـايدع الفرد وراء ظهـره حينما يدخل إلى القبر وحينما يلقى الله تعالى .

والمقصود من المجتمع فى الدنيا كان إظهـار معادن النفوس وأخـلاقها وسجاياها .

ونقف طويلا أمـام مفهوم الأخلاق الاسلامية ،فقـد اختلط هذا المفهوم كثيرا حتى على دعاة لهم مكـانتهم .. فقد نسبـوا إلى الشيخ محمد عبـده أنه قـال عنهم حينما زار أوروبا وعـاشر الاجـانب ورأى نظامهم وأخـلاقهم : هؤلاء مسلمون بلا إسلام .. ونحن عندنا إسلام بلا مسلمين .

وهكذا نسب إلى الإنجليـز والفرنسيين أخلاقـا إسلامية لمجـرد نظامهم وانضبـاطهم ،وهذا فهم خـاطىء .. فالنظـام والأخلاق عنـد هؤلاء النـاس مفهوم نفعى تماما كالبقال الذكى والتـاجر الذكى الذى اكتشف بفطنته أن الأمانة تكسب لـه جميع الصفقات بينما السرقة والغش والنصب لا يضمن له إلا صفقة واحدة.. فاختار الأمانة لأنها أنفع.

وهم اختاروا الأخلاق لأن لها عائدا ماديـا.. فهى أخلاق برجماتية نفعية لا شىء فيهـا لـوجـه الله وليست هـى الأخلاق الاسـلاميـة التى أرادهـا الله خالصة لوجهه.

ونحن لانقف أمـام الحديث النبوى الشريف الـذى رواه الرسـول عليه الصلاة والسـلام عن المرأة الخاطئة التى وقعت على كلـب عطشان يلهث فى الصحراء فسقته فغفـر الله لها وأدخلها الجنة ، ولانفكر لم كـان هذا الثواب العظيم من أجل سقيا كلب.. ولكـن السر ليس فى مجرد العمل الصـالح ولكن لأن هـذا العمل الصـالح لم تبتغ بـه المرأة سمعـة ولا أجرا.. فـلا أحـد فى الصحراء الخاليـة كان يـرى ما فعلت ولم يكن للكلـب صاحب ليكـافئها .. ولكن عملها كان خيرا خالصـا .. ولم يكن له شـاهد سوى الله.. نحن هنا أمام أخـلاق ربانيـة (كما يرزق الله المؤمن والكـافـر لايبتغى على عطائه أجـرا) ولهذا أثابها الله بعطاء بلا حدود.

يقول المحسنون فى القرآن : (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا).

هنا الأخلاق الربانية الإسلامية التى يريدها الله خيرا خالصا.

« ألا لله الدين الخالص » (٣ـ الزمر)

ولايوجد عند هؤلاء الأوربيين والإنجليز والأمريكان الذين أعجب بهم الشيخ محمد عبده هذا المفهوم المجرد الخالص..فهم لا يقدمون شيئا لله،وإنما كل شىء بحساب وبدفاتر فى صندوق النقد الدولى وبعين ناظرة إلى ثروات البترول وإلى الفرص والأسواق هنا وهناك.

والأخلاق النفعية.. والأخلاق التى لاتظهر إلا مع الخوف.. والأخلاق التى لاتكون إلانفاقا وتزلفا.. ليست جميعها أخلاقا إسلامية، وإنما هى فى حقيقتها لؤم وانتهازية وفطانة ووصولية وألوان من الانتفاع الدنيوى.

ولايصح أن نصف بالأخلاق الإسلامية من لا مشروع لهم إلا النفع واغتنام الفرص واهتبال الدنيا.. فحسبهم ما أصابوا من الدنيا وليس لهم عند الله شىء. ولابد أن نعترف أن هناك قطاعا كبيرا من المسلمين بالبطاقة ممن ليس عندهم حتى هذه الأخلاق النفعية الدنيوية ولا هذا الانضباط.. وأنهم أقرب فى تخلفهم إلى قطيع الحيوان.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاعتـــــزال

الاسلام دين عمل ودين حركة ودين ايجابية وكفاح.

ومطلوب من المسلم أن يخوض أوحال الدنيا ليصلحها ، وأن يعالج خرابها ليعمره .ولكن السؤال : ماذا يكون الحال إذا طم الفساد وتفاقم الشر وتعاظم الكفر واستأسد الإجرام واستحال الإصلاح وغلب الخيرون على أمرهم؟

القرآن يجيب بأنه ساعتها يكون الاعتزال أمرا محمودا .يقول القرآن مخاطبا أهل الكهف حين أعتزلوا مجتمعهم الوثنى:

«وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته» (١٦ ـ الكهف)

ويقول إبراهيم فى القرآن للكفار من اهله : « وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى» (٤٨ ـ مريم)

فماذا كان قول ربه:

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق» (٤٩ ـ مريم)

لقد أثابه الله على هذا الاعتزال بأن وهبه اسحق.

ويحكى القرآن عن اعتزال مريم عن الناس :« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا».

فأى تكريم علوى قدسى نالته مريم على اعتزالها.

ويوصى محمد عليه الصلاة والسلام المسلم فى آخر أيام الدنيا حينما يفسد الكل.. أن يلزم بيته ويغلق عليه بابه.

إن المجتمع إذا فسد وانهار فإنه لايساوى شيئا فى مجموعه أمام نجاة فرد واحد.. فالفرد هو مقصود الرسالة ومراد كل النبوات.

والفرد هو الذى سوف يبعث وسوف يحاسب والنفس هى الحقيقة الخالدة ومصيرها الجحيم خلودا أو الجنة خلودا.

وإنما تمتحن النفوس بالمجتمع وتناقضاته.

والاسرة والقبيلة والجماعة والطائفة والامة والدولة وكل الأبنية الاجتماعية هى المسرح الذى تعبر فيه النفس عن خيرها وشرها وتجلى فيه مواهبها وتبوح بمكنوناتها من خلال الصراع والصدام والالتحام بالنفوس الأخرى.. والمقصود النهائى هى كل نفس على حدة.. يقول الله فى قرآنه:

« ذرنى ومن خلقت وحيدا» (١١ ـ المدثر).

لن ندخل على الله فى جماعة ، ولن نلقاه فى شلة.. وإنما كلهم آتيه يوم القيامة فردا.

ولن يستطيع أحد أن يلقى ذنبه على الآخر أو على الأسرة أو على المجتمع أو على البيئة، فكل هذا لم يكن سوى ورقة الامتحان التى أريد بها إخراج مايكتمه فى نفسه.. وهى أبنية أصبحت الآن هواء لا وجود لها.

ذكرت هذا وجالت بنفسى كل تلك الأفكار حينما كنت أحادث المخرج الرائد كمال الشيخ فى التليفون وأسأله: أين أنت الآن فى السينما إنى لاأراك؟ فقال الرجل بنبرته الهادئة وصوته المهذب:

ـــ لم أعـد أرى نفسى فى السينما الآن،فآثـرت الابتعاد والاعتـزال.. لم تعد السينما عملا محترما ولم تعد الأفلام تحض على الفضيلة أو تدعو الى خير أو تقدم عبرة ، حتى أفلام التسلية لم تعد تقدم تسلية بريئة.. أصبحت السينما كـاراتيه وعنفـا ورصاصـا ودمـا وجنسا وإثـارة، لمجرد الإثـارة، وضحكا مبتـذلا ونكات مكشـوفة وتهريجا سفيـه.. حتى أفـلام المخدرات أصبحت تدعـو إلى المخدرات، لأن مشاهد التلذذ والنشـوة والغنى الفاحش تشيع بطـول الفيلم.. ولانـرى المصيرالمؤلم إلا فى لحظة عـابـرة فى النهايـة فيخرج المتفرج وهـو مشحـون بلذة الكيف وقد نسى البـاقى.. لقد تحولت السينما إلى أداة إفساد صريحة.. ليس فى مصر وحدهـا ولكن فى العالم كله.. وأعلى الأجـور الآن تعطى لرمـوز العنف والتدمير أمثـال شوارزنجـر وإلى رموز الفحـش والعهر مثل مـادونا.. ولم يعـد المخرج فى بلدنـا يستطيع أن يسيطر على موضوعه أويختار مـادته فى جو فنى رخيص وألوان من الإنتاج تبحث عن تغطية سريعة وكسب سريع أى كسب.

هناك استحالة أن يحترم الواحد منا نفسه ويستمر فى هذه الأعمال.

واحترمت الرجل واحترمت اعتزاله.

ولاأظن الـذين اعتـزلـوا السينما مـن ممثـلات الصف الأول.. كـانت عندهن أسبـاب أخرى.. إنما هى نفس الاسباب التى ذكـرها كمال الشيخ.. الإنحدار العـام فى مستوى المهنة.. ونفس الشىءفى المتفرج.. لم يعـد هناك أب محترم يفكر فى أن يأخذ أولاده ويذهب إلى السينما.

ونفس الشىء فى مسارح الهزليات والتهريج والسهر للفجر.

هناك انحـدار حقيقى وإسفاف وهبـوط فى الجو الفنى العام خـاصـة فى مهنة السينمـا.

وإذا كان هنـاك فيلم من كل مائة فيلم لـه قيمة ، فإن هذا الفيلم الـواحد لايمحـو قـذارات الأفـلام الأخـرى، ولا ينقـذ المهنـة من قـاع المزبلـة التى استقرت فيها.

والاعتزال هنا عمل ايجابى وليس عمـلا سلبيا لانه انقاذ ايجابى للنفس من ضياع مؤكد .

إن القرآن حينما ذم اعتـزال بعض الرهبان قـال: «ورهبانية ابتدعـوها ماكتبناها عليهـم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فـآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

فهو سبحانه وتعالى لم يذم الرهبـانية على إطلاقها وإنما ذم الـرهبان الفاسقين الذين لم يرعوا رهبانيتهم حق رعايتها.

وقال عن الرهبانية : « ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله» .

ومعنى هذا الكـلام أن الاعتزال والرهبـانية إن كانت ابتغـاء رضوان الله فأمرها مختلف وهي مقبولة ولها أجرها المؤكد رغم أن الله لم يأمر بها.

ولم يأمر الله بالرهبانيـة لأنها الاستثناء حين العجز وحين غلبة الفساد وإنما القاعدة هي الكفاح والمجالدة.

وأعتقد بعد أن ارتفعت الأطباق الضـخمة فوق أسطح العمارات وانطلقت الاقمار الصناعية تبث أفلام العهر والانحلال.. أن الفسـاد يوشك أن ينقض بـلا موانع على النـاس.. وأن هناك إغـراقـا مقبلا وغسيل مخ قـادما وأننـا داخلون إلى عصر رهيب.. وأننا نقترب من هذه الأيام التى قال عنها الرسول والتي يكون القـابض فيها على دينه كـالقابض على الجمر ويكون أجـر هذا المؤمن كأجر خمسين من صـحابة محمد عليه الصلاة والسـلام.

ونسـأل الله اللطف.

القتــل ثم القتــل

المليشيات التي تتقاتل بالصواريخ فى كـابول وتدعي انها تفعل هذا من أجل الإسـلام اقول لها: انه أهـون عند الله أن تهدم كعبته من أن تزهق روح برىء أو يقتل مؤمن واحد ظلما.. وذلك لأن الكعبـة هي البيت الرمز للرب ، أمـا قلب المؤمن فهو البيت الحق.. ومـايهدم من الكعبة يمكن أن يبنى ، أمـا من يقتل فمن يستطيع أحياءه.

يقول ربنا فى الحديث القدسي:

«لم تسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدى المؤمن».

فقلب المؤمن أوسـع من السماوات والأرض، بل هـو المطلق اللامحدود فى سعته.. لأنه السر المفتوح على الملكوت ومـا وراء الطبيعة ومعدنه من معدن النفس والروح، وهو من اللطائف التي أودعها الله فينا ولا ندرى عنها شيئا.

وحينما تمتد يد لتمزق هذا المحراب وتهدم البنية التى أقامها الله، وحينما تسقط الصواريخ وتنفجر القنابل فتقتل من لا نعرفهم ومن لايعرفوننا بلا ذنب وبلا جريرة.. وحينما تتمزق أجساد الأطفال.. فإن السموات ترتعد من هول الاثم.

ثم نسمع من يقول انهم متطرفون إسلاميون وهم لايمتون إلى الإسلام بسبب.

ونعجب كيف صدقوا أنفسهم وتصوروا أنهم يعملون لهدف إسلامى وهم يقبضون مرتباتهم من المخابرات فى هذه الدولة أو تلك.. وكل جماعات بيشاور كانت تعمل بقيادة المخابرات الأمريكية ، وتقول الـ C. N. N أن حمكتيار تقاضى ألف مليون دولار من المخابرات الامريكية أثناء حربه مع السوفيت ، وكان سلاح تلك الجماعات وتمويلها أثناء قتالها للسوفيت من المخابرات الأمريكية.. ومازالت العلاقة مستمرة.. والجديد كان دخول دول عربية لتساند هذا وذاك لأهداف ومصالح يعلمها العليم.

وأشعر بالأسى ..

مادخل الإسلام بكل هذا؟ وكيف نسمح للغرب المتربص بأن يجر قدم الإسلام إلى هذه المباءةليجعل منها ذريعة ليطارد الإسلام والمسلمين فى كل مكان؟

وكيف نرضى أن نطعن أنفسنا بأنفسنا من أجل حفنة دولارات ومن أجل البقاء فى الكراسى أى كراسى.. بينما الأرض كلها تسحب من تحتنا جميعا.. ونسعى إلى حتوفنا دون أن ندرى والموت يشاركنا اللقمة كل يوم.

فهل أدرك الذين يصنعون هذا البلاء انهم يصنعون مصيرهم ضمن مايصنعون.

هل أدركوا انهم يلهثون جريا إلى الجحيم. وكلما أطلقوا صاروخا ازدادت شهيتهم إلى هذا اللقاء واشتعل شوقهم فأطلقوا صاروخا آخر.. وما اشتاقت نفوسهم للجحيم إلا لأنها بضعة منه .

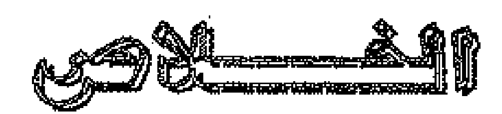
وكل شىء يحن لأصله والعياذ بالله .

ولهذا يتحدث عنهم ربهم بأنهم أصحاب الجحيم وأهلها الذين هم أهلها.

هؤلاء الناس الذين تسليتهم القتل وبضاعتهم القتل وتجارتهم القتل.




ساعة


الخلاص

كانت المتكلمة من البوسنة .. امرأة صوتها يتهدج من بين الدموع :

زوجي وأولادي قتلوا .. وأخوتي تشردوا .. وجيراني أودعوا المعتقلات .. وبيوتنا أصبحت كومة تراب .. في الحر القاتل لا نجد الماء وفي البرد الصقيع لا نجد المأوى .. نغتصب وتهتك أعراضنا ونقتل جوعا وتمزق الشظايا أجسادنا .. تسعة عشر شهرا من الجحيم والرعب المستمر .. والسلاح ممنوع عنا حتى لا ندافع عن أنفسنا بينما هو مبذول بكثرة لأعدائنا ليفعلوا بنا ما يشاءون .. لا أحد يسأل عنا .. خذلنا الجميع ولم يبق لنا إلا الله ..

نبكي ونصلي والقنابل تدمدم فوق رؤوسنا ونسجد على الأرض ونحن بين مقطوع الذراع والساق ومهيض القلب والفؤاد والدماء تقطر من جراحنا .

لماذا لا يأخذ الله على أيديهم .. لماذا لا يهلكهم . أليس هو مجيب دعوة المضطر إذا دعاه ؟ ومن يصحو وينام في الاضطرار المستمر مثلنا !! متى تأتي ساعة خلاصنا .

وكانت تبكي بين الكلمات وكنت أتقطع حزنا وأسى وأنا أسمعها وكنت أقول لها : إن الله منتقم لكم لا محالة ، وأن عدالته قادمة ولكن في ميقاتها الذي يحدده هو .. ولله سنن ثابتة فلو أنه عجل العقاب للمخطيء وأخذ على يد الظالم من فوره لما كانت هناك حكمة لآخرة ولا مناسبة لحساب ، ولو أنه منعه من ظلمه لما كانت هناك حرية لأحد .. وهو أمر ينافي سنة الله في الخلق . فقد أرادنا الله أحرارنا .. ومعنى أن نكون أحرارا هو أن يكون لنا هامش تصرف نخطيء فيه ونصيب .. وهكذا اقتضت الحرية التي أرادها لنا الله .. أن يسمح لنا بأن نضر وننفع .

وهكذا سبقت كلمته بتأخير العقاب إلى أجل مسمى وهذا بعض ما علمنا القرآن .

« ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » (٤٥ ـ فصلت)

« ولـولا كلمـــة سبقت من ربك إلى أجـل مسمى لقضى بينهم » (١٤ ـ الشورى) .

« ولو يـؤاخذ الله النـاس بما كسبوا ما ترك على ظهرهـا من دابة ولكن يؤخـــرهم إلى أجل مسمى فإذا جـــاء أجلهم فإن الله كـان بعبـاده بصيرا » (٤٥ ـ فاطر) .

وشكرتنى ووضعت السماعـة بيد تـرتجف وانقطع بيننا الحديث ولكن الكلام ظلت له توابع تتسلسل فى فكـرى .. فالابتلاء هذه المرة ليس للصرب وحدهم .. ولكنه ابتلاء للعالم كله ولأهل الحضارة الغربية الذين يتشدقون بحقوق الإنسان ولسكان الجانب المسلم من الكـرة الأرضية الذين يقولون أنهم حملة كتاب الله وأنهم الوارثون للعلم ..

بل إن الدائرة لا تدور على مسلمى البوسنـة وحدهم بل هـى تدور على مسلمى العـالم فى أوروبـا وآسيا وأفـريقيـا فهم يقتلـون فى الهند على يـد الهنـدوس وفى كشمير وبـورمـا على يـد السيخ والبـوذيين وفى سـرلانكـا والفلبين وليبيرا .. وفى القدس والأرض المحتلـة وغزة ولبنان تـوشك أن تبدأ المذبحة الكبرى للمسلمين على يد إسرائيل .

هذه المرة المذبحة شاملة والبلاء عام وتوشك إرادة العالم أن تجتمع على استئصـال شأفة الإسلام من الأرض .

والله يكف يده عن هذا الظلم الفاجـر لحكمه حتى يفضح النيات الخافية والمبيتة فى قلوب هـؤلاء الناس المتحضرين والمتمدنين الذين كنـا نأخذ عنهم علمهم وأخـلاقيـــاتهم وثقـــافتهم فى انبهـــار وننظـر إليهم كـأخـــوة كبـار وكملهمين وأساتذة .. يـريد الله أن يرينا هـذه العلمانية التى فتن بها أولادنا وشبابنـا والتى كتب عنها سلامـة موسى فى افتتان وإعجـاب وروجها بين أبناء جيلنا .. وجعل منها مثلا عليا آمن بها .. وضـل وأضل غيره فى عبادتها .

هؤلاء الكبار حملة المثل العليا أراد الله أن نراهم فى ضوء الابتلاء الساطع كفرة فجرة طغاة لا إنسـانيين .. وسفاحين قتلة .

ويمثل ما امتحنهم الله فإنه قد امتحننا نحن أيضا شعوبا وحكومات .

والامتحان مستمــر والعلمانيون منـا مازالوا يكتبـون غثاء ويـروجون غثاء ويتعبدون لقبلة انهارت قواعدها .

والذين اتخمهم الثراء تصوروا أن ثراءهــم سيكون مانعهم يـوم ينزل البلاء .

والذين زرعوا قصـورهم فى أمريكا وفرنسا وسـويسرا وأودعوا أموالهم عبرالبحر تصوروا أنها ستكون ملجأهم يـوم تقع الواقعة .. وأنهم فى مأمن مما سيأتى به الغد .

ولكن كـارثة هـذه المرة شاملـة وهى طـامة كبرى على الإســلام فى كل مكان .

والله يمهل هؤلاء المخططين الأذكياء ويمد لهم فى الحبل ليفضح نواياهم ويكشف فصائلهم وأجناسهم وانتماءاتهم وقبائلهم .. كما يكشفنا لأنفسنا ويمتحن إيماننا وليكتب جنده وملائكته خفـايا كل إنسان وحقائقـه .. إنه الفرز المستمر . وطاحونة البلاء هى المفرزة الكبرى .

وحينما ينتهى الفــرز ويتأكـد التصنيف ويدون جنـود الله الكـاتبـون توجهات كل فرد مشفوعة بأعماله وأقواله حينئذ يأتى أمر الله بنصرة الذين انتصروا له وخذلان الذين خذلوا كلمتـه . وكمثل ماجاء أمر الله على قوم لوط بـالإهــلاك والفنــاء رجما ، فتـوسط النبى الأواه الحليم إبـراهيم من أجلهم لعلهم يتوبون .. فقال له كبير الملائكة : « يـاإبراهيم أعرض عن هذا .. إنه قد جاء أمـر ربك وإنه آتيهم عـذاب غير مردود » . نعم .. إنه حينـذاك سيكون الأمر غير مـردود والعذاب غير مـردود .. والشفاعـة لاسميع لها ولا مجيب ولو كانت من نبى .

ولهذا أقـول لكل من يسـمع ويرى ويتـألم ، وأقول لكل من يعـانى : لا تتعجلـوا انتقام الله .. ولكن تعجلـوا مـواقفكم وتحسبوا أمـاكنكم .. ولتكن مواقفكم حيث أمر الله .

اجتمعوا على أمره وتفرقوا على أمره وكونوا ناصحين لحكامكم مرشدين لكباركم .

وحـاولـوا أن تجعلـوا من أنفسكم صفـا واحدا وليكن شعــارنـا لليـوم

وللمستقبل هو : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. فالكل متربص بالكل .
ونحن لا نعيش فى ظل نظام عالمى جديد وإنما فى فوضى عالمية كاملة وفى غياب كامل لكل المعايير ، ومجلس الأمن والأمم المتحدة هياكل فارغة تحكمها مصالح الأقوياء وتقودها القرصنة الأمريكية والنخبة الصهيونية .
ورغم هذا الحاضر المظلم فإنى شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموى الرهيب .
وعمدة الأحكام عندنا هى كتابنا والله يقول فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣٣ ـ التوبة) .
وجاءت الآية مرة أخرى بنفس الصيغة فى سورة الصف وهى تاسعة آيات السورة .. هو إذن وعد صدق .. وهو لم يتحقق إلى الآن ، فظهور الإسلام كان فى قريش ولم يكن على الدين كله بل كان على أديان الشرك المحلية الموجودة وعلى يهود الجزيرة ، ثم فى أيام أبى بكر وعمر تخطى الجزيرة ليزيح وثنية فارس ونصرانية الروم ثم توقف عند بوابة القسطنطينية غربا وبوابة الأندلس شرقا ولم يدخل أوروبا . وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم افريقيا وكل استراليا وباق بالعالم خارج الإسلام ونفوذه .
وبين خمسة آلاف مليون من سكان العالم هناك اليوم ألف مليون فقط من المسلمين والأربعة آلاف من الملايين الباقية من الأديان الأخرى .. فهو لم يظهر على الدين كله كما فى منطوق الآية .. بل إن الأكثرية الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر عليه لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية .
وإذا كان ما نراه الآن من مذابح للمسلمين فى كل مكان بداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإنى أعتقد أنه هنا يأتى ميقات الآية الكريمة .. فإذا انتهت هذه القوى المتآمرة فى معركتها الفاصلة مع الإسلام إلى الهزيمة فإنه حينئذ سوف يظهر الإسلام على الدين كله .. لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل .
فهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذى نحن فيه ولا تتحدث عما مضى وهى لابد تتضمن فى باطنها مواجهة شاملة ونصرا مطلقا .. وإلا فكيف

يظهر الإسلام على الـدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهـد من العالم كله .. إلا أن تكـون هناك معركــة خاتمة ونصر مؤكـد يقلب الموازين ويظهر الحق .

إنه وعد إلهى إذن بنصر شــامل مؤزر . ويلتقى هذا الوعد بالـوعد الآخر الـذى جــاء فى ســورة الإسراء والـذى قضى الله فيــه لبنى إسرائيل بأنها سيكون لها علــو كبير وانها ستفسد فى الأرض مــرتين وانه ستكــون هناك معركتان ، ثم يصف المعركة الثانيــة بأنها « وعد » .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجـوهكم وليدخلـوا المسجد كما دخلـوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا »(أى يدخلوا القدس ويدمروا كل ما عَلاّ اليهود وكل مابنوا وأنشأوا).

ولاشك أن إسرائيل فى قلب ما يجرى وفى قلب ما يحاك من إفســاد وتآمر على الإسلام والمسلمين فى هذه الأيــام ، وهى رأس الحربة فيما يخطط لنا فى كل مكان . فالوعد فى الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله .. والوعد فى الآية الثــانية بانتصــار المسلمين ودخولهم القدس وتـدميرهم لكل ما أنشأ اليهود وكل ما بنوا .. هو نفس الشــىء .. والآيتــان تتحدثان عن حدث واحد يأتى فى زماننا وبه يظهر شــأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته .

وهذه قــراءة تاريخيــة فى كتابنــا أرجو أن تكـون صحيحة فإننــا نؤمن جميعا بأن وعد الله لا يتخلف لأنه سبحانه بيده مقاليد كل شىء وما يعد به ربنا لابد آت لا محالة .

وأقول لأبنــاء البوسنــة الشـجعان البـواسل اصبروا وصابــروا ورابطوا والحق منتصر بأهله وأبنائه وشـهدائه بإذن الله ووعد الله لا يتخلف .

إنما هى البداية .. ولكل بداية نهاية .

●●●

ولن يكـون ظهور الإســلام هذه المرة بعمل عسكــرى من أعمال العنف ولا بـانتصــار وضيع ودنىء من مثل مــا يفعله الصرب من فحش ونـذالــة بنســاء البوسنــة المسلمات وأطفالهن العـزل .. وإنما بنصرة إليهــة باهـرة تنعقد لها الألسن وتخشع لها القلوب وينتهى بها الجدل ، وهذا يفسر الأثر الكلى الشــامل المذكـور فى الآيــة (ليظهــره على الــدين كلــه) هــذه الكليــة والشموليــة لا تتأتى بالعنف ولا بــالقهر ولكن بشىء يقطــع الحجة وينهى

الشك ويحسم القضية ويجلى القضية .. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة ؟!

ولا نمضى فى التحديد ولا نتزلق إلى التأويل .. فهذه آيات تفسيرها حدوثها .

وعن الميقات المعلوم .. فإنى لا أظنه بعيدا ، فالحوادث التى تتدفق وتتسارع بمعدلات فلكية لا تعطى فسحة لأى تراخ .. وبعد أن انكشف الدور العدوانى للصليبية اليهودة العالمية فى إشعال الفتن وتأجيج الحروب فى كل وطن إسلامى وفى محاصرة الإسلام فى جميع مظانه ، فإنه لم يعد هناك ما يدعو لانتظار .. خاصة أن المناخ السياسى ملائم وولاية كلينتون والنخبة الصهيونية حوله قد لاتتكرر .. إنها فرصة العمر إذن .. والسنوات الخمس القادمة يجب أن ينجز فيها كل شىء ، وسنة الفين ميعاد رمزى له فى التوراة رنين خاص .

ومن يعش منا هذه السنوات الخمس القادمة سوف يرى مالايخطر له على بال .. ولأن مصر لها مكان محورى فى هذه التحولات .. فسوف تحظى بحفاوة لا مثيل لها من جميع جبهات التآمر .. وجميع مدفعيات الفتن موجهة إليها من الآن .

وقد رأينا كيف حاولوا ضرب السياحة والاستثمار بقنابل الرعب والمسامير ، وبموجة عارمة من الاعلام الكاذب الموجه بدأت بتلطيخ الإسلام واتهام رموزه ، وانتهت بالتحذير من السفر إلى مصر أو الاقتراب منها ، ثم صور عن الفقر والقذارة وأكوام الزبالة وأخبار عن أمراض الاسهال « وهم سبب تلك الموجات الوبائية من الاسهال بما يدخلونه من مبيدات ممنوعة ومواد رش قاتلة وحيوانات مريضة » ثم الغزو الثقافى العلمانى وإحياء مدارس الشك والتغريب .

والقنبلة القادمة حى محاولة تحطيم الذرة المصرية العجيبة فى تماسكها والتى تتألف نواتها من بروتون إسلامى ، ونيوترون مسيحى ، والتى استعصت على التحطيم منذ محاولات الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الانجليزى .. ومازالت صامدة رغم الفتن التى تعاقبت عليها أشكالا وألوانا وآخرها محاولات جس النبض التى حدثت فى صعيد مصر وانتهت بالفشل .

وينسى الأعداء بجميع نـوعياتهم .. إن المسيحيـة فى مصر هى مسيحية خاصة مختلفة عن مسيحية الغرب .. وإن الكنيسة المصرية لم تتحالف مع الكنيســة الأوروبيـة فى الهجمـة الصليبيـة الماضيـــة بل وقفت مع الجيش المصرى وحاربت الصليبيين وكسرتهم .

والوشـائج التى تجمع النصرانى والمسلم فى مصر كثيرة وعميقة . ونحن نتعايش ونتزواج ونتحارب معا منذ أكثر من ألف عام ، ويعلم النصرانى أن الإســلام يحترم العـذراء الطاهـرة مريم ، ويقـول القرآن أن الله طهـرهـا واصطفاها على نساء العالمين ، وانــه وضع ابنها المسيح مع الأنبياء الأكابر من أولى العزم ، وقال فيه انه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .. كما يعلم النصرانى المصرى أن اليهود سبـوا عيسى وقالـوا انه دجـال وابن زنا وان أمه عـاهرة وهـم يكرهون اليهــود كراهية التحريم .. ولن تـدخل الصليبية اليهودية مصر أبدا .. وإذا دخلت فستدفن فيها .

ومصر ليست لبنان ولن تكون .

ومع ذلك فإنـه حتى فى لبنان وبعـد ست عشرة سنة من الحرب الأهليـة اليت سـاندتها فـرنسـا وأمريكـا وأوروبـا والفـاتيكان فشلت الصليبيـة اليهودية فى أن تصل إلى أهدافها فى تقسيم لبنان وتغيير التركيبة السياسية فيها ، وعـادت لبنان الجريحة كما كانت وبنفـس النسبة القديمة فى جهاز الحكم من المسيحيين والمسلمين ، ورأينـا نحن هنـا من فظائع هـذه الحرب الأهلية وعدم جدواها مـا يجعلنا نحذر ألف ألف مرة المسلم والمسيحى معا هذه الفتنة وأن نحاربها صفـا واحدا بكل ما نملك من إرادة وتصميم ، وهم فى هـذه الأيـام يجمعـون التبرعـات فى أمـريكـا بـاسم الكنيســة المصريـة المضطهـدة ويسربـون المنشـورات عن دولة قبطيـة مستقلـة فى الجنـوب عاصمتهـا أسيوط والجولة القادمـة هى تكريس هذه الفتنــة .. بضع قنابل ورصاصات طائشـة مأجورة يسقط فيها قتلى من المسيحيين .. على أمل أن تـسـرتفع شكـوى من نصــارى مصر إلى الأمم المتحــدة من ظلم المسلمين وعدوانهم .. تعقبها قرارات بحظـر الطيران على خط عرض أسيوط .. ويبدأ التفتيت .

ولن تحقق تلك الأحلام .. لأنها أحلام دنيئة يروجها لؤم صهيونى أشد منها دناءة .. ولن يحدث ذلك التحالف أبدا بين قبط مصر، وبين اليهود الصهاينة الذين يعلم القبط من إنجيلهم أنهم أشد عداوة لهم ولمسيحهم من الشيطان نفسه .

ولكن سوف تحدث المحاولة ولا أستبعدها .

وعلى كل مسئول أن يفتح عينيه جيدا ويرسل جواسيسه ويسبق رياح الفتن قبل أن تهب .

ولقد ضحك الصهاينة على المسيحيين فى أمريكا وأقنعوهم بنبوءة كاذبة بأن المسيح لن ينزل من السماء إلا بعد ذبح المسلمين فى معركة هرمجدون، وكونوا فرقة إنجلية أمريكية تروج لهذا الإفك وتجمع التبرعات لمعركة هرمجدون القادمة « يقولون إنها سوف تحدث فى فلسطين فى السنوات القليلة القادمة » وقد وقفت الكنيسة المصرية ضد هذه الفرية وحذر الأنبا شنودة من اتباعها .. وقد عرفنا المسيح نبيا داعيا إلى المحبة ولم نعهده سفاحا داعيا إلى مجزرة .

ولكن اللؤم الصهيونى لا تنتهى حيله .

وهم فى انتظار المسيخ الدجال الذى سوف ينزل على جبل صهيون، ويأتى بالخوارق ويصنع الأعاجيب .

والمسيخ الدجال شخصية موجودة فى كتبنا وهى واردة فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو ساحر يستعين بالجن والشياطين وعلوم الكابالا « العلوم السرية السفلية لليهود » ويأتى بالخوارق والعجائب .. وهو يجىء فى آخر الزمان ويتبعه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقى ويقتله .

والمجىء الثانى للمسيح وردت به إشارات فى القرآن والكثير من المسلمين يؤمنون به .

ولا شك أن نزول المسيح بشخصه وشهاداته على الملأ بمن هو ومن يكون .. هل هو ابن الله أو عبد الله، وبحقيقة ما حدث فى شبهة الصلب وبمن

كان لــه ختم النبوة ومــا شريعته التى يأمـر بها » وجميع الأنبياء فى قــرآننا مسلمـون من آدم ونوح وإدريس إلى مـوسى وعيسى ومحمـد .. وجميعهم على عقيدة لا إله إلا الله ودينهم التوحيد المطلق » .

أقول إن شهـادة المسيح بشخصه لمحمـد عليه الصـلاة والسلام ربما تكون هى المشار إليها فى إظهار الدين بـالكلية والشمولية والعمومية التى تقطع الحجـة وتنهى الشك وتحسم القضية فى الآيــة التى بدأت بها الكـلام والله أعلم .. وقد تكـون المواجهة مشهديـة على مستوى جيـوش تأتى فيها النصرة بشكل بـاهـر يتحـدى جميع التـوقعـات ويلجم الألسن .. والكيف والمتى عند الله هو وحده العالم بهما .. ولكـن النصرة قادمة وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقية قرآنية لاشك فيها .

ولا أحب أن أحملكم على جناح الغيب وأتوه بكم فى الظنون بينما الحرب معلنة علينــا فى الواقع والأعداء يحتشدون لنـا ويتكاثرون علينا ويـزرعون الشوك والألغام والموت فى طريقنا . وأقـول نفتح عيوننا على الواقع أفضـل .. ونستعد بكل مـا نملك لنخوض هـذه اسنوات العجـاف ، ونعقد عهـد أخاء ومحبـة نصارى ومسلمين بـأن نحارب معـا كل من يمس شبرا واحـدا من أرض مصـر ، وكل من يتعدى على قطرة من نيلها .. ويكون هذا ميثاق الوقت الذى نعاهد الله عليه .. والله معنا ما دمنا يدا واحدة .

●●●

ويسألـونني لماذا كل هـذه الثقـة بانتصـار الإسـلام رغم تخلف أهلـه وانقاسمهم وفقـرهم ومهانتهم وجهلهـم ، ورغم أنهم بلا سيف وبـلا قوة وبلا سند ورغم كل هذا الظلام المطبق الذى لا يبدو فيه خيط نور .. فأقول لهم : نعم .. سيف الإسـلام الآن مكسور وأهلـه متخلفـون وجهلة وفقـراء ومنقسمـون ، ولكنه مع ذلك يـا أخـوة ورغم ذلك ينتصر الإسلام ويغـزو القلـوب وينتشر فى كل بقـاع الأرض بل وفى قلب بـاريس ولنــدن وبـرلين ونيويـورك ، يتقدم كل يـوم أجانب لشيوخ المســاجد هنـاك ، ويطلبون أن يسلموا ويتعلمـوا أركان الإسلام .. هكـذا ببسـاطـة .. ونقرأ عن كتب تخرج

مـــن قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه .. وآخرها كتاب مراد هوفمان السفير الألماني الذي أسلم واختار عنوان كتابه :

« الإسلام هو الحل البديل » .. ومن قبله جارودي الذي جاء إلى الإسلام من قلعة الشيوعية ، وكتب عشرات النشرات والكتب .. ومن قبله موريس بوكاي وليوبولدفايس ، وغيرهم وغيرهم .. وهذه معجزة الإسلام .. فهو يتقدم وينتصر بقوته الذاتية ويحدث هذا في أشد أحوال المسمين تأخرا وانحطاطا .

وقد انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وكانت مصر في أسوأ أحوالها . وانتصر قطز على التتار وكانت المماليك شراذم تقاتل بعضها بعضا.

إن الإسلام له سر رباني وله سلطان في ذاته وهذا ما يجعل أعداءه المسلحين حتى الأسنان يرتجفون منه رعبا ويحسبون له ألف حساب وقتل المسلمين يا أخوة شيء آخر تماما ولا يعني أبدا قتل الإسلام .. والمسلمون أكثرهم موتي بالفعل وكل ما يستجد أن موتهم يعلن .. وهذا أمر هامشي تماما ، فمن مات الإسلام في قلبه لا يدخل تحت تعداد المسلمين، أما من يحيا الإسلام في قلوبهم فلا خوف عليهم ولا سبيل لأي سلطان في الأرض عليهم .

والعالم مقبل ولاشك على منعطف خطير من التحولات .. ولا أظن أن زيارة بابا الفاتيكان لأمريكا كانت لإنشاد التراتيل . فالرجل سياسي من الدرجةالأولى وهو لا يرى في سقوط الشيوعية في روسيا صحوة لكل الأديان بل يراها صحوة واجبة لدين واحد هو المسيحية الكاثوليكية والرجل مخلص على طريقته . وما جاء الرجل لأمريكا ليضع سلاما بين الأديان بل ليضع سيفا ، وأموال الفاتيكان تنفق حاليا في تسليح الكروات وكانت من قبل تنفق في تسليح كاثوليك لبنان في الحرب الأهلية ، وهذه الأخبار ليست من عندي بل رددتها وكالات الأنباء مرارا وتكرارا .

أقول هذا الكلام لأساقفة العلمانية في بلادنا الذين يقولون نطرح الأديان وراء ظهرنا ونحل مشاكلنا بأسلوب علمي لا ديني .. وأقول لهم : أفيقوا من خبالكم .. أننا مقبلون على جهنم .. وادعو الله ألا ينجرف نصارى

مصر فى هذا التيـار العنيف المدمر .. وأن تكـون مصر فى عيوننـا جميعا وأن تكون لـوحدة مصر الأولوية عى كل اعتبـار ، فمصر فى ذاتها قيمة .. ومصر هى مهبط الرسالات وكعبــة التوحيد وهى فى عين الله وفى رعايته وقـد ذكرها الله بالاسم وبـالإشارة فى قرآنـه أكثر من أربع عشرة ، مرة وقـد كانت مصر رمزا دائما للتعـايش بين الأديان وللتسامح والسلام .. فحـافظوا على مصر من أجلكم أنتم ومن أجل القيم التى تدافعون عنها .

محتويات الكتاب

صفحة

- الحب القديم ٥
- الاسم .. اللطيف .. ومعجزته ١٧
- كلام عن الآخرة ٢٥
- الدين الجديد الذى يدعون إليه ٣٣
- والغزاة الجدد ٤٥
- المسلمون فى خندق ٥٥
- والإسلام معطل ٦٥
- يد تمتد بالسلام .. والأخرى على الزناد ٧٧
- انحلال .. وكوكايين وخلافه ٨٩
- المنطق يسير بالمقلوب ١٠١
- الإسلام الغائب ١١٠
- وغدا تذهب السكرة وتأتى الفكرة ١٢١
- أهون على الله أن تهدم كعبته
  من أن يقتل مؤمن واحد ظلما ١٣٣
- ساعة الخلاص ١٤٣

رقم الإيداع ٢١٥٥ / ٩٤
I.S.B.N.
977 - 08 - 0211 - 5

الإسلام فى خندق ..
الإرهاب يحاصره عن شمال..
والعَلْمانية تضرب فيه من اليمين..
وأطماع الغرب الاستعمارى تهدده من الأمام .
وتخاذل الدول العربية وتفككها يهدده من الوراء .
والأمية الإسلامية تضرب عليه خيمة من اليأس .
ما المصير .. ؟
وما المخرج.. ؟
هذا موضوع كتابنا .

■ الثمن ٥ جنيهات ■

طبع بمطابع دار أخبار اليو